

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





العنوان: صدى الأربعين

الناشر: العتبة العباسية المقدسة – قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الإعداد والتحرير والمراجعة اللغوية: شعبة الفكر والإبداع وحدة الإصدارات

التصميم: حسين عقيل – حسين علي

الطبعة: الأولى

عدد النسخ: ٣٠٠٠

العراق – كربلاء المقدسة

شهر صفر الخير ١٤٣٥ هـ

حقوق النشر والتوزيع محفوظة للعتبة العباسية المقدسة



المحتويات

١١ زيارة الأربعين

١٧ علّة الحث على زيارة أبي عبد الله عليه السلام مع الخوف

٢١ الأبعاد الفكرية في زيارة العتبات المقدسة

٢٧ ثواب المشي في زيارة المعصومين عليهم السلام

٣٣ قصة زيارة الأربعين عن لسان عطية العوفي

٣٩ علامات الإيمان

٤٥ من فوائد زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام



٥١ الجواب الرصين حول زيارة الأربعين

٥٧ آداب الزيارة

٦٥ ثأر الله وابن ثأره

٧٥ الجدال بالتّي هي أحسن

٨٧ الاستعانة بأرواح الأولياء (عليهم السلام)

٩٩ الشعائر الحسينية والعناوين الشرعية المنطبقة عليها





لا بد للعطاء من معين ولا بد للنور من مصدر، المعين يرفد الظالمين والنور يضئ طريق السالكين، فالمعين والضياء هو الحسين (عليه السلام) وقد فاز من تمسك بنهجه ونجا من تعلق بسفينته الواسعة.

مسيرة الأربعين ملحمة تتجسد فيها معالم الوصول إلى الكمال فهي مسيرة الجهاد والعطاء التي تتحدى الطغاة والظالمين، وتوجه للعالم صرخة الحق المعبرة عن الواقع الولائي لأتباع أهل البيت (عليهم السلام)، مسيرة حثّ عليها المعصومون (عليهم السلام)، من أجل أن نحیی ذكراهم في كل عام، ونكون ممن نفرح لفرحهم ونحزن لحزنهم وأن نحث الخطى فكراً وثقافياً، ولأجل أن يعلم العالم مظلومية الإمام الحسين وأهل بيته الكرام (صلوات الله عليهم أجمعين).

لقد جاهد الإمام الحسين (عليه السلام) من أجل أسمى المقاصد، وأنبأ الغايات، وقام بما لم يقم بمثله أحد، فبذل نفسه وماله وآله وكل ما يملك في سبيل إحياء الدين الذي حاول بنو أمية دفنه واستعباد الناس بعد ذلك، واختار المنيّة على الدنيّة، وميّة العزّ على حياة الذل، ومصارع الكرام على اللثام، وأظهر من عزة النفس والشجاعة والصبر والثبات ما بهر به العقول وحير الأبواب واقتدى به في ذلك كل من جاء بعده، ومن يمتلك مثل هذه الصفات، فالحق أن تقام له الذكرى في كل عام وتبكي له العيون بدل الدموع دماً.

فهنيئاً لمن وفق لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في العشرين من صفر يوم تتجدد أحزان آل محمد (صلى الله عليه وآله).





زيارة الأربعين

علي كاظم / كاتب

موضوع زيارة أربعين الإمام الحسين (عليه السلام) من المواضيع التي تعرضت للتشكيك كبقية الشعائر. لذلك سنحاول أن نسلط الضوء على أصل مشروعية زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في العشرين من صفر. ونقول: إنّ زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) من الأمور المشروعة بل من المستحبات الأكيدة حتى اعتبرها بعض العلماء من ضروريات المذهب.

وقد جاء في فضل زيارته (عليه السلام) والحث عليها من الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ما يصل بها إلى درجة الوجوب كما قال صاحب كتاب الحقائق الناضرة: "والأخبار في فضل زيارته مستفيضة والظاهر في كثير منها الوجوب وإليه يميل كلام بعض أصحابنا".

وقد أفرد علماءنا لذلك أبواباً خاصة في كتبهم ذكروا فيها الكثير من الروايات حول ذلك.

عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: "مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين بن علي (عليه السلام) فإن إتيانه مفترض على كل مؤمن ومؤمنة يقرُّ للحسين (عليه السلام) بالخلافة من الله (تعالى)" (١)

وعنه (عليه السلام) قال: "من لم يأت قبر الحسين (عليه السلام) من شيعتنا كان منتقص الإيمان منتقص الدين" (٢).

والأخبار في فضل زيارة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وثوابها ولا سيما الإمام الحسين (عليه السلام) أكثر من أن تحصى، ولعلَّ السر في فضل زيارتهم (كما صرح به الفيض الكاشاني) أنَّ في زياراتهم صلة وبراً لهم ولرسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) وإجابة لهم، وتجديد عهد لولايتهم، وإحياء لأمرهم (عليهم السلام).

عن الإمام الرضا (عليه السلام): "إنَّ لكلَّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته وإنَّ من غاية الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم فمن زارهم في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاؤهم يوم القيامة" (٣)

ولما كان لزيارة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، ذلك الفضل العظيم والاستحباب الأكيد، فقد جاءت روايات الأئمة من ولد الحسين (عليهم السلام) لتبين لنا أنَّ هناك

أوقاتاً خاصة تستحب زيارته (عليه السلام) فيها.

فكان من تلك الأوقات زيارته يوم عاشوراء وفي العشرين من صفر - ذكرى الأربعين - والخامس عشر من شعبان وأول رجب وفي شهر رمضان وغيرها.

وما يعيننا هنا هو زيارة الأربعين - في العشرين من صفر - والتي تستمد مشروعيتها من أحاديث الأئمة صلوات الله عليهم.

عن الإمام الحسن بن علي العسكري (عليهما السلام) أنه قال: "علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين زيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتغفير الجبين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم" (٤)

وقد روى الحديث عدد كبير من علماء الطائفة نذكر منهم: الشيخ الطوسي، والشيخ المفيد، والعلامة الحلي، والسيد محسن الأمين، والشيخ البحراني في الحدائق الناضرة، والحر العاملي في وسائل الشيعة حيث أفرد باباً أسماه باب تأكد استحباب زيارة الحسين (عليه السلام) يوم الأربعين من مقتله.

وقد اشتهر أن أول الوافدين إلى زيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام) في العشرين من صفر هو جابر بن عبدالله الأنصاري صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ثم موكب السبايا مع الإمام زين العابدين (عليه السلام) وقد اشتهر بين علمائنا وتناقلته الألسن والأقلام كيفية وصولهم ولقائهم بجابر بن عبدالله.

ومهما يكن من أمر فإن من الواضح أن مشروعيتها تستند إلى أمر الأئمة لنا بالإتيان بها، هذا الأمر الذي يدل على استحباب ذلك ورجحانه، سواء قلنا أن مجيء السبايا أو جابر إلى كربلاء كان في العشرين من صفر أم لا.

وإن كان مجيئهم قد وافق يوم العشرين فهذا لا يعني أنه أصبح سبباً لاستحبابها كما صرح بعض الفقهاء، إلا أن مجيئهم قد يكون بدافع امتثال الأمر الاستحبابي، الصادر

عن المعصوم لزيارته (عليه السلام) المطلقة.
ثم بين الأئمة (عليهم السلام) وحددوا لنا وقتاً معيناً لتلك الزيارة وهو العشرون من صفر.
والخلاصة: إنّ المشروعية لزيارة الأربعين مستمدة من كلام الأئمة (عليهم السلام) مباشرة وعليه عمل المشهور من علماء الطائفة، لا من وصول السبائيا إلى كربلاء في العشرين من صفر.

الهوامش:

١. كامل الزيارات/ ص ٢١٦.
٢. كتاب المزار/ ج ١ / ص ٣١٨.
٣. كامل الزيارات/ ص ٢١٧.
٤. المصدر نفسه/ ص ٣٢٥.







علة الحث على زيارة أبي عبد الله (عليه السلام) مع الخوف

رياض الموسوي / كاتب وباحث

وردت روايات مستفيضة في الحث على زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) مع الخوف على النفس، وقد أشار الشيخ المجلسي في البحار إلى أنّ الأسانيد الواردة في ذلك جمة، وقد استفاد منها جماعة من الفقهاء رجحان عموم الشعائر، والروايات لا تقتصر على الحث على زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) عند الخوف، بل تشدد ذلك وتوجب الزيارة إجمالاً، بل ولا تكتفي بذلك، وإنّما ترتقي إلى درجة رابعة وهي التحذير من ترك الزيارة بسبب الخوف.

ولا يخفى مدى قوة دلالات تلك الروايات على تأكيد رجحان الزيارة كأبرز مصداق في طبيعة الشعائر الحسينية ولو مع الخوف على النفس من الهلاك؛ وأن ملاك الرجحان في الزيارة والشعائر الحسينية تُسترخص فيه بذل النفس لإقامة وتشيد تلك الأغراض الشرعية في الشعائر.

وكيف لا تُسترخص النفس في زيارة الحسين وقد استُرخص بذل النفس في فضيلة دون ذلك بكثير، كالذي ورد في النص والفتوى المتفق عليهما عند المشهور أن من قُتل دون ماله فهو بمنزلة الشهيد كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع أن خطب الدفاع عن حرمة الأموال وردع الآخرين لا يضاهي ولا يقايس بحرمة الولاية لأهل البيت (عليهم السلام)، ويتحصل من هذه الروايات المستفيضة، بأن زيارة الحسين (عليه السلام) أبرز الشعائر الحسينية، فلا يقوى على رفع مطلوبيتها الخوف من هلاك النفس، فإن ملاكها أعظم من ملاك حفظ النفس، كما هو الحال في الجهاد في سبيل الله وغيره، بل يظهر من هذه الروايات المستفيضة والمتواترة أن باب زيارته من أعظم أبواب الجهاد في سبيل الله (سبحانه) وفي سبيل الإيمان في قبال الجاحدين والمعاندين، الذين يريدون أن يُطفئوا نور الله (عز وجل).

إن زيارة الحسين (عليه السلام) وبقية الشعائر المرتبطة به (عليه السلام) بل والمرتبطة بأهل البيت من زياراتهم وشعائرهم، هي متضمنة لطبائع واجبة، نظير إقامة وحفظ الولاية، ونشر نور الإيمان، وهداية البشر، وإقامة فريضة التولي والتبري، وتجديد العهد بولايتهم ومحبتهم، والبيعة لهم، إلى غير ذلك من طبائع الواجبات المرتبطة ببيعة الدين والإيمان، فكيف لا تقدّم هذه الواجبات على حفظ النفس. ومن السطحية بمكان ملاحظة الطبيعة الفردية للشعيرة كزيارة ونحوها من نماذج أفراد وأصناف الشعائر الحسينية، أو شعائر أهل البيت (عليهم السلام) مع الإغفال عن جملة الطبائع الواجبة العظيمة، المرتبطة بأصول الدين وأركانه، والمنطوية في الشعائر الحسينية تضمناً... (١)

الهوامش:

١. ينظر كتاب (فلسفة زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) من خوف).







الأبعاد الفكرية في زيارة العتبات المقدسة

حيدر فائق / صحفي

منذ أن خلق الله (عزّوجلّ) الإنسان وأسكنه في الأرض بدأ يخطط مسار حياته من خلال ما يستلهمه من المعلم الأول وهو الخالق (جلّ وعلا) وما يتعلمه من خزين تجريبي، ومن ثم التدرج بمراحل الحياة لغرض تحقيق ما يحلم به كل إنسان من حياة سعيدة. ومن أكثر الأمور التي كانت تشد الإنسان بشكل خاص والمجتمعات بشكل عام أولئك الرموز الذي يشكل سلوكهم ومواقفهم القدوة الحسنة للمجتمع.

ومن هذا الحرص الشديد نلاحظ بأن المجتمعات قد شيدت الأضرحة والمزارات والقبور لتثبت تعلقها بالماضين باعتبارهم الأساس في بناء الحاضر.

وطالما كان الإسلام ديناً فطرياً يشيّد دعائم وجوده على أساس طبيعة الخلقة والتكوين الإنساني، رأيناه يمضي هذه الوسيلة الفطرية القائمة منذ القدم ويؤيدها بتشريع أحكام دفن الأموات وبناء القبور؛ وأن يرمي احترام الميت كما يرمي احترام الحي.

إنّ الإنسان في وقوفه أمام مراقد الأولياء لا ينشد سوى الحق والحقيقة. ومثل هذه الوقفات تبعث أثراً روحياً عميقاً في النفوس، ويكون لها تأثير تشد الإنسان لجمال الحق وتجذبه إلى الحقيقة التي تتجلى أمامه في مظهر متكامل.

وللأسف، ثمة طائفة من الناس تنسب زيارة أهل القبور وبالذات المشاهد المقدسة للنبي وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) وأولياء الدين إلى الخرافة وتزعم أنّ الزائرين عبّاد قبور؛ لأنهم لا يفقهون معنى الحياة ولم يدركوا منها سوى الجانب الشهوي المادي الذي يلوث الفطرة ويأتي على أصالة الإنسان في فطرته وتكوينه الخلقي، فهم لم يعرفوا الحقيقة ولم يفتحوها عليها فرموا الأمر بالأسطورة والخرافة.

وإلى جوار هؤلاء من عدّ زيارة قبور أئمة الهدى وتقبيل الأضرحة وجدران الحرم والتشفّع شركاً أو من الذنوب الكبيرة.

ومما يحتج به هؤلاء أنّ الله (سبحانه) ذمّ قوماً وعدّهم من المشركين؛ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام ويقولون عنها: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١) وكانوا أحياناً يتشفّعون بالملائكة وبعض الجن والبشر.

والخضوع لغير الله يستوجب الشرك لا فرق في أن يكون التوجه بالشفاعة إلى الملائكة والأنبياء والأئمة وغيرهم.

إلا أنّ ظنّ هؤلاء خاطئ، فالله (سبحانه) لم يسمّ عبدة الأصنام ونسبهم إلى الشرك؛ لأنهم تشفّعوا بالملائكة والأئمة والأولياء الصالحين، وليس ثمة ما يؤيد قولهم من القرآن

مطلقاً. بل أن القرآن تحدّث صراحة في آيات كثيرة عن إمكان شفاعة الملائكة وأوليائه. يقول تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً﴾ (٢) ثم يردف في الآية ٢٧ من نفس السورة: ﴿إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾.

وإنما نسب القرآن عبدة الأصنام إلى الشرك لأنهم وإن كانوا يقولون بشفاعة الملائكة وإنهم وسائط خير، إلا أنهم أعرضوا عن الله عز اسمه، وأخذوا يعبدون هؤلاء من دون الله، ويخضعون لهم بمراسم العبودية من دونه سبحانه. أي أنّ هؤلاء اتخذوا آلهة لهم مقابل الله سبحانه فاستحقوا أن يصفهم القرآن بالشرك.

أما زوّار قبر النبي (صلى الله عليه وآله) وأولياء الدين وأئمة المسلمين فمع توقيرهم لأصحاب المراقد إلا أنهم لا يعبدون صاحب القبر، ولا يعدّونه إلهاً في مقابل الله جل اسمه. يقول تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

وما يبيده هؤلاء من آثار الاحترام والتوقير إنما هو تعظيم لشعائر الله تعالى. وما يظهر من آثار المودة من قبيل تقبيل الضريح وأجزاء المرقد إنما هو من آثار المحبة. وإلا كيف يجعل القرآن مودة أهل بيت النبوة واحدة من الفرائض الدينية بنص القرآن الكريم، يقول تعالى في ذلك: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (٤) ثم ينهي عن لوازم هذه المودة ويمنع من ظهورها؟

أما إذا رأينا أحياناً البعض من عامة الناس وهم يطلبون الحاجة من أئمة الدين أو يتوسلون إليهم في شفاء مريض وغير ذلك، فإنك تسمع منهم - كما سمعنا مرّات - حين تعترض عليهم بأن قضاء الحاجات وشفاء المرضى بيد الله وحده وإنّ من تسأله هو عبد من عبيد الله، يقولون: إنّ الذي أعنيه أن يقوم هذا العبد الصالح بعرض حاجتي وطلب قضائها من الله أو ييسرها بإذنه سبحانه. وهذا الجواب كما هو واضح مبني على أساس التوحيد وليس الشرك.

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنه قال: من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني. وقال أيضاً: من زارني بعد وفاي كمن زارني في حياتي والأحاديث في فضل زيارته (صلى الله عليه وآله) وزيارة الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) من أهل بيته وحتى زيارة أهل البيت من غير الأئمة المعصومين مثل حمزة بن عبد المطلب عم النبي وردت أحاديث كثيرة تؤكد استحباب زيارته وأن من لم يزر حمزة فقد جفا رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وأما حول فضل زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وفضل زيارة الحسين (عليه السلام) ورد من الأحاديث ما لا تحصى، وكذا وردت أحاديث في الحث على زيارة الإمامين الجوادين والإمام الرضا (عليهم السلام).

وانظروا إلى زيارات أهل البيت (عليهم السلام) فهذه زيارة عاشوراء التي يستحب أن يزار بها الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء بل في كل يوم كم فيها من العبر والدروس.. (اللهم اجعل محياي محيا محمد وآل محمد ومماتي ممات محمد وآل محمد.. اللهم اجعلني عندك وجيهاً بالحسين (عليه السلام) في الدنيا والآخرة)^(٥).

فهذه الزيارات هي باب من أبواب رحمة الله الواسعة وكنز من كنوز الدين ليغتني المؤمنون هذه الكنوز ويزدادوا - بالزيارة - إيماناً ويستحب أن نزور أهل البيت (عليهم السلام) في كل وقت وبعد كل صلاة فأمر المؤمنين (عليه السلام) يقول: (يا كميل سم كل يوم باسم الله وقل لا حول ولا قوة إلا بالله. وتوكل على الله واذكرنا وسم بأسمائنا وصل علينا. وادر بذلك على نفسك وما تحوطه عنايتك، تكف شر ذلك اليوم إن شاء الله)^(٦). نسأل الله تعالى أن يرزقنا في الدنيا زيارتهم وفي الآخرة شفاعتهم وأن يجعلنا معهم لا مع غيرهم.

الهوامش

١. سورة يونس، الآية: ١٨.
٢. سورة النجم، الآية: ٢٦.
٣. سورة الزخرف، الآية: ٨٦.
٤. سورة الشورى، الآية: ٢٣.
٥. المزار: ٥/ ٤٤٤.
٦. تحف العقول: ٢٩.





ثواب المشي في زيارة المعصومين عليهم السلام

عدنان الحسيني / صحفي

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: "وليت شعري يا سيدي ومولاي أتسلط النار على وجوه خرت لعظمتك ساجدة ... وعلى جوارح سعت إلى أوطان تعبدك طائفة" ^(١).

زيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام من أفضل القربات إلى الله عزّ وجلّ، كما أكد ذلك ائمتنا الأطهار (عليهم الصلاة والسلام) وهو من مصاديق هذه الفقرة من دعاء كميل (رضوان الله عليه).

فمن أوطان التعبد وأبواب الإيمان: محمّد وآله الطاهرين (صلوات الله عليهم)

ولا يخفى أنّ أصل المشي إلى العتبات المقدّسة بصورة عامّة كالمشي إلى مكّة المكرّمة يرجع تاريخه إلى النبي آدم (عليه السلام) فإنّه مشى إلى بيت الله (سبحانه) ما يقارب سبعين مرّة .

وللمشي على الأقدام لكلّ المراقد المطهّرة لأثمتنا الأطهار (عليهم السلام) ولاسيّما سيّد الشهداء (عليه السلام) دلالات واضحة تُعلن عن الولاء الخالص لأهل البيت (عليهم السلام) وتجديد العهد والبيعة بالجوارح والجوانح . وإليك جملة من الروايات المعتمدة الدالّة على استحباب المشي مؤكّداً بنحو عام في خصوص زيارة الحسين (عليه السلام):

روى العياشي بسنده عن معاوية العجلي قال: كنت عند أبي جعفر (عليه السلام) إذ دخل عليه قادم من خراسان ماشياً، فأخرج رجله وقد تغلّفتا - أي تشقّقتا - وقال: أما والله ما جئني من حيث جئت إلّا حبّكم أهل البيت، فقال أبو جعفر (عليه السلام): والله لو أحبّنا حجر حشره الله معنا، وهل الدين إلّا الحب، إنّ الله يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ وقال: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾... " (٢) .

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "من زار أمير المؤمنين (عليه السلام) ماشياً كتب الله له بكلّ خطوة حجّة وعمره، فإن رجع ماشياً كتب الله له بكلّ خطوة حجّتين وعمرتين" (٣) .

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): "يا بن مارد من زار جدّي عارفاً بحقّه كتب الله له بكلّ خطوة حجّة مقبولة وعمره مبرورة، يا بن مارد ما يطعم الله النار قدماً غبّرت في زيارة أمير المؤمنين، ماشياً كان أو راكباً، يا بن مارد اكتب هذا الحديث بماء الذهب" (٤) . بيان: غبّرت أي علاها الغبار والتراب في طريقه إلى زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) . هذا في زيارة أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وكذلك الأمر في زيارة أولاده المعصومين: كزيارة سيّد الشهداء الإمام الحسين بن علي (عليه السلام): كما ورد ذلك في

الروايات عند الخاصة والعامة التي تذكر العشرات من الأحاديث الشريفة التي تنصّ على فضل واستحباب الزيارة مشياً على الأقدام.

عن حماد بن ثابت عن عبد الله بن الحسن قال: من زار الحسين (عليه السلام) لا يريد به إلا الله فتفطرت قدماه في ذهابه إليه، كان كمن تفطرت قدماه في سبيل الله.

عن الحسين بن ثوير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال في حديث: "إذا أتيت أبا عبد الله (عليه السلام) فاغتسل على شاطئ الفرات ثم ألبس ثيابك الطاهرة ثم امش حافياً فإنك في حرم من حرم الله وحرم رسوله، وعليك بالتكبير والتهليل والتسبيح والتحميد والتعظيم لله عز وجل كثيراً والصلاة على محمد وأهل بيته حتى تصير إلى باب الخير" (٥).

عن علي بن ميمون الصائغ عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "يا علي زر الحسين ولا تدعه، قال: قلت: ما لمن أتاه من الثواب، قال: من أتاه ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة ورفع له درجة، فإذا أتاه وكل الله به ملكين يكتبان ما خرج من فيه من خير ولا يكتبان ما يخرج من فيه من شر ولا غير ذلك، فإذا انصرف ودّعه وقالوا: يا ولي الله مغفورا لك، أنت من حزب الله وحزب رسوله وحزب أهل بيت رسوله، والله لا ترى النار بعينك أبداً، ولا تراك ولا تطعمك أبداً" (٦).

وعن سدير الصيرفي قال: "كنا عند أبي جعفر (عليه السلام) فذكر فتى قبر الحسين (عليه السلام) فقال له أبو جعفر (عليه السلام): ما أتاه عبد فخطا خطوة، إلا كتب له حسنة وحُطت عنه سيئة" (٧).

وعن أبي الصامت قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) وهو يقول: من أتى قبر الحسين (عليه السلام) ماشياً، كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة، ومحى عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة، فإذا أتيت الفرات فاغتسل وعلّق نعليك وامش حافياً، وامش مشي العبد الذليل، فإذا أتيت باب الخير فكبر أربعاً ثم امش قليلاً، ثم كبر أربعاً، ثم اتت

رأسه، فقف عليه فكبر أربعاً وصلّ عنده واسأل الله حاجتك" (٨).

هذه جملة من الروايات المعتبرة الدالة على فضيلة المشي على الأقدام لزيارة المعصومين (صلوات الله عليهم) ولا سيما سيّد شباب أهل الجنة، ريحانة رسول الله (ﷺ) وسبطه الثاني سيّد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام).

فسلام الله وسلام ملائكته ورسله وانبيائه وأوصيائه وعباده الصالحين على تلك الأقدام التي مشت بإخلاص وبحبّ وولاء إلى حرم سيّد الشهداء أبي عبدالله الحسين (عليه السلام)، اللهم أنك تعلم أنا نحبّ ذلك، فاشركنا في أعمالهم وثوابهم آمين ربّ العالمين.

الهوامش:

١. المصباح / ١٠٢.
٢. بحار الأنوار / ج ٢٦ / ص ٩٥.
٣. وسائل الشيعة / ج ١٤ / ص ٣٨٠.
٤. بحار الأنوار / ج ٢ / ص ١٤٧.
٥. الكافي / ج ٤ / ص ٨١٩.
٦. كامل الزيارات / ج ١ / ص ٢٣٦.
٧. بحار الأنوار / ج ٩٨ / ص ٢٥.
٨. المصدر نفسه، ج ٩٨ / ص ١٤٣.



كفيل زينة الجراء
١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م





السَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ
وَعَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ
وَعَلَى أَوَادِ الْحُسَيْنِ
وَعَلَى أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ



قصة زيارة الأربعين عن لسان عطية العوفي

سلام جميل / كاتب

عطية العوفي: أحد رجال العلم والحديث يروي عنه الأعمش وغيره، وروي عنه أخبار كثيرة في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو الذي تشرف بزيارة الحسين (عليه السلام) مع جابر الأنصاري الذي يعد من فضائله أنه كان أول من زاره.

يغبط حقه عادة مع أهمية دوره وربما لا يذكر اسمه في المحافل إلا في كونه غلاماً أو خادماً لجابر، ولم يكن غلاماً، وإنما هو تلميذ نجيب لجابر وراوٍ واعٍ لأحاديثه وصاحب مواقف.

كان أبوه سعد بن جنادة وهو من بني جدیل أول من أسلم من أهل الطائف، وصحب النبي (صلى الله عليه وآله)، وروى عنه عدداً من الأحاديث، وبعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان ممن عرف أمير المؤمنين (عليه السلام)، ووالاه وشارك معه في حروبه، وروى عنه بعض الأحاديث.

قال أبو جعفر الطبري في كتاب ذیل المذیل: عطية بن سعد بن جنادة العوفي من جديلة قيس، يكنى بأبي الحسن، قال ابن سعد: اخبرنا سعد بن محمد بن الحسن بن عطية قال جاء سعد بن جنادة إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو بالكوفة فقال يا أمير المؤمنين انه قد ولد لي غلام فسّمه .

فقال: هذا عطية الله، فسّمِي عطية.

نشأ عطية في الكوفة، ولذا لقبه بعضهم بالكوفي «إضافة إلى العوفي».

وهناك تعرّف وصاحب جابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري «أو الكلبي» وصحبهم، ولعل جابر أكثرهم تأثيراً فيه.

ولعل سرّ تضعيف رجاليي الجمهور لعطية؛ لأنه قد روى حديث الثقلين، وأن الأئمة اثنا عشر، وحديث سفينة نوح، وتفسير آية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١) في أهل البيت، وحديث الغدير، والمنزلة وسد الأبواب غير باب علي، وحديث إعطاء النبي فدكا، وروى خطبة الزهراء الفدكية وروى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المهدي أنه «رجل من أهل بيتي»^(٢).. وغيرها.

ولم يكتف عطية فيما يظهر من حياته بمجرد الولاء النفسي والموقف الفكري، بل كان لديه رؤية واضحة في المجال السياسي، تجلّت في موقفه المضاد للحكم الأموي معتمداً على ما رواه من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وإن لم يلحظ له ذكر في أيام الحسين (عليهما السلام)، إلا ما يروى عن ذهابه مع شيخه جابر بن عبد الله إلى كربلاء يوم العشرين من صفر واقتراقه عنه بعد ذلك كما يظهر من ذيل الرواية التي نقلها عماد الدين الطبري في كتابه بشارة المصطفى، إلا أننا نلاحظ له دوراً فيما بعد كربلاء، فقد شارك بدور فاعل في ثورة المختار الثقفي، وكان على رأس الذين أرسلهم المختار إلى مكة المكرمة لإنقاذ الهاشميين الذين سجنهم عبد الله بن الزبير بعد أن رفضوا مبايعته، وعزم على إحراقهم في خندق إن لم يستجيبوا لبيعته.

كما أن عطية كان من جملة الثائرين على الحجاج وظلمه..

قال ابن سعد: ".. خرج عطية مع ابن الأشعث على الحجاج، فلما انهزم جيش ابن الأشعث هرب عطية إلى فارس، فكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم: أن ادع عطية فإن لعن علي بن أبي طالب والافضربه أربع مئة سوط!! واحلق رأسه ولحيته، فدعاه فأقرأه كتاب الحجاج، فأبى عطية أن يفعل، فضربه أربع مئة سوط، وحلق رأسه ولحيته، فلما ولي قتيبة خراسان خرج عطية إليه، فلم يزل بخراسان حتى ولي عمر بن هبيرة العراق، فكتب إليه عطية يسأله الإذن له في القدوم، فأذن له، فقدم الكوفة، ولم يزل بها إلى أن توفي سنة إحدى عشرة ومئة.. وكان ثقة وله أحاديث صالحة.."، ومنها روايته في زيارة أربعين الإمام الحسين (عليه السلام).

عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ زَائِرِينَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليهما السلام) فَلَمَّا وَرَدْنَا كَرْبَلَاءَ دَنَا جَابِرٌ مِنْ شَاطِئِ الْفُرَاتِ فَاعْتَسَلَ ثُمَّ اتَّزَرَ بِإِزَارٍ وَارْتَدَى بِآخَرٍ، ثُمَّ فَتَحَ صُرَّةً فِيهَا سَعْدٌ فَتَرَهَا عَلَى بَدَنِهِ، ثُمَّ لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا ذَكَرَ اللَّهَ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الْقَبْرِ قَالَ الْمُسْنِيهِ، فَلَمَسْتُهُ فَخَرَّ عَلَى الْقَبْرِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَرَشَشْتُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْمَاءِ فَأَفَاقَ.

ثُمَّ قَالَ: يَا حُسَيْنُ ثَلَاثًا..

ثُمَّ قَالَ حَبِيبٌ لَا يُجِيبُ حَبِيبَهُ.

ثُمَّ قَالَ: وَأَنَّى لَكَ بِالْجَوَابِ وَقَدْ شُحِطَتْ أَوْدَاجُكَ عَلَى أَثْبَاجِكَ، وَفُرِّقَ بَيْنَ بَدَنِكَ

وَرَأْسِكَ، فَأَشْهَدُ أَنَّكَ ابْنُ النَّبِيِّنَ، وَابْنُ سَيِّدِ الْمُؤْمِنِينَ، وَابْنُ حَلِيفِ التَّقْوَى وَسَلِيلِ
الْهُدَى، وَخَامِسُ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ، وَابْنُ سَيِّدِ الثَّقَبَاءِ، وَابْنُ فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ، وَمَا
لَكَ لَا تَكُونُ هَكَذَا وَقَدْ غَذَّكَ كَفُّ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَرَبَّيْتَ فِي حَجَرِ الْمُتَّقِينَ، وَرَضَعْتَ
مِنْ نَدْيِ الْإِيمَانِ، وَفُطِمْتَ بِالْإِسْلَامِ، فَطَبْتَ حَيًّا وَطَبْتَ مَيِّتًا، غَيْرَ أَنَّ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ
طَبِيَّةٍ لِفِرَاقِكَ، وَلَا شَاكَةَ فِي الْخَيْرَةِ لَكَ، فَعَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرِضْوَانُهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مَضَيْتَ
عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ أَخُوكَ يُحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا.

ثُمَّ جَالَ بَبْصَرِهِ حَوْلَ الْقَبْرِ، وَقَالَ:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْأَرْوَاحُ الَّتِي حَلَّتْ بِفَنَاءِ الْحُسَيْنِ وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِهِ، أَشْهَدُ أَنَّكُمْ
أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتُمُ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتُمُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجَاهَدْتُمُ الْمُلْحِدِينَ،
وَعَبَدْتُمُ اللَّهَ حَتَّى آتَاكُمْ الْيَقِينَ، وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ لَقَدْ شَارَكْنَاكُمْ فِيهَا دَخَلْتُمْ فِيهِ.
قَالَ عَطِيَّةٌ: فَقُلْتُ لِجَابِرٍ، وَكَيْفَ وَلَمْ نَهْبُطْ وَادِيًا، وَلَمْ نَعْلُ جَبَلًا، وَلَمْ نَضْرِبْ بِسَيْفٍ،
وَالْقَوْمُ قَدْ فُرِّقَ بَيْنَ رُءُوسِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ، وَأَوْتِمَتْ أَوْلَادُهُمْ، وَأَزْمَلَتْ الْأَزْوَاجُ؟!
فَقَالَ لِي: يَا عَطِيَّةُ، سَمِعْتُ حَبِيبِي رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ: "مَنْ أَحَبَّ
قَوْمًا حَشَرَ مَعَهُمْ، وَمَنْ أَحَبَّ عَمَلَ قَوْمٍ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِمْ".

وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ نَبِيًّا إِنْ نَبَّيْتُ وَنِيَّةَ أَصْحَابِي عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ
وَأَصْحَابُهُ، خُذُوا بِي نَحْوَ آيَاتِ كُوفَانِ.

فَلَمَّا صَرْنَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، فَقَالَ لِي: يَا عَطِيَّةُ، هَلْ أَوْصَيْكَ وَمَا أَظُنُّ أَنَّي بَعْدَ هَذِهِ
السَّفَرَةِ مُلَاقِيكَ، أَحَبُّ مُحِبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَا أَحَبَّهُمْ، وَأَبْغَضُ مُبْغِضِ آلِ مُحَمَّدٍ مَا أَبْغَضَهُمْ
وَإِنْ كَانَ صَوَامًا قَوَامًا... (٣).

الهوامش:

١. المعجم الأوسط - الطبراني / ج ٢ / ص ٢٢٩

٢. راجع المعجم الصغير / ج ٢ / ص ٢٢

٣. بحار الأنوار / ج ٦٥ / ١٣٠.





علامات الإيمان

السيد أحمد نوري الحكيم / باحث إسلامي

من الأمور الرائعة في القرآن الكريم وأهل البيت (عليهم السلام) الوضوح والدقة في وصف الأمور لأجل جعل الإنسان على بينة من أمره.

فإذا سأل الإنسان هل أنا مؤمن أم لا ؟.

يأتيك الجواب حينما ترجع إلى القرآن الكريم وروايات المعصومين (صلوات الله عليهم).

فالقرآن يجعل علامات للمؤمنين فيقول (تعالى): ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِمَقْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (١).

أما عن المعصوم فقد روي عن الامام أبي محمد الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) أنه قال: (علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم، والتختُّم في اليمين، وتغفير الجبين، وزيارة الأربعين) (٢).

ولأهمية هذه العلامات نحاول أن نسلط الضوء عليها بشيء من التفصيل:

الأولى: وهي صلاة إحدى وخمسين في اليوم واللييلة؛ وهي عبارة عن سبع عشرة ركعة فريضة، وأربع وثلاثين ركعة نافلة، والفرائض هي الصبح والظهرين والعشاءين واعدادها معروفة واضحة، وأما النوافل فهي ثمان للظهر قبلها وثمان للعصر قبلها، وأربع للمغرب بعدها، واثنان من جلوس للعشاء بعدها تعدّان ركعة واحدة، وركعتان للصبح قبلها، وإحدى عشرة ركعة نافلة الليل ثمان هي نافلة الليل ثم الشفع والوتر، وبإضافاتها إلى الفرائض يكون المجموع إحدى وخمسين ركعة، وهذا ما اختصت به الفرقة الناجية التابعة لأهل البيت (عليهم السلام)، فإنّ المخالفين وإن وافقوهم بعدد الفرائض إلا أنهم اختلفوا في النوافل ففي كتاب (فتح القدير) لابن همام الحنفي ج ١ ص ٤١٣ قال إنها ركعتان قبل الفجر، وأربع قبل الظهر، واثنان بعدها، وأربع قبل العصر وإن شاء ركعتين، وركعتان بعد المغرب، وأربع قبل العشاء وأربع بعدها وإن شاء ركعتين فهذه ثلاث وعشرون ركعة، واختلفوا في نافلة الليل إنها ثمان ركعات أو ركعتان أو ثلاث عشرة ركعة أو أكثر، فالمجموع من نوافل الليل والنهار مع الفرائض لا يكون إحدى وخمسين، فاذا تكون إحدى وخمسين من مختصات الفرقة الحقة الإمامية

لا غير (٣).

الثانية: وهي الجهرُ بالبسملة فإن الشيعة - الإمامية - تدّينوا إلى الله تعالى به وجوباً في الصلاة الجهرية واستحباً في الصلاة الاخفائية تمسكاً بأحاديث أئمتهم (عليهم الصلاة والسلام)، وفي ذلك يقول الفخر الرازي: ذهبت الشيعة إلى أن من السنّة الجهرُ بالتسمية - البسملة - في الصلاة الجهرية والاخفائية وجمهور الفقهاء - السنّة - يخالفونهم، وقد ثبت بالتواتر أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان يجهرُ بالتسمية ومن اقتدى في دينه بعلي فقد اهتدى والدليل عليه قول النبي (صلى الله عليه وآله): (اللهم أدر الحق مع علي حيث دار) (٤).

الثالثة: وهي التختّم باليمين وقد التزم به الإمامية تدّيناً بروايات أئمتهم (عليهم السلام).

هذا وقد وردت الروايات الشريفة المروية عن النبي وآله (صلى الله عليه وآله) وهي تحث المؤمنين على التختّم باليمين، وأن لا تخلو اليد من خاتم فصّه عقيق منها: عن الامام الصادق (عليه السلام): (ما رفع كفٌّ إلى الله عز وجل أحب إليه من كفٍّ فيها خاتم عقيق) (٥).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (تختّموا بالعقيق يبارك الله عليكم وتكونوا في أمنٍ من البلاء) (٦).

وعن سليمان الأعمش قال: كنت مع أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) على باب أبي جعفر المنصور فخرج من عنده رجلٌ مجلود بالسوط فقال لي الإمام (عليه السلام): يا سليمان انظر ما فصّ خاتمه؟ فقلت يا بن رسول الله فصّه غير عقيق فقال: يا سليمان انه لو كان عقيقاً لما جُلد بالسوط قلت: يا بن رسول الله زدني قال: هو أمانٌ من قطع اليد قلت: يا بن رسول الله زدني قال: هو أمانٌ من إراقة الدم - القتل - قلت: زدني قال: إن الله يحب أن ترفع إليه في الدعاء يدٌ فيها فصّ عقيق قلت: زدني قال: العجب كل

العجب من يد فيها فصّ عقيق كيف تخلو من الدنانير والدراهم قلت: زدني قال: إنه أمانٌ من كلّ بلاء قلت: زدني قال: إنه أمانٌ من الفقر" (٧).

الرابعة: وهي تعفيرُ الجبين، والتعفيرُ في اللغة هو وضع الشيء على العفر^(٨) وهو التراب، سواء كان في سجود الصلاة - حيث لا بدّ من وضع الجبهة على ما يصحّ السجود عليه والتراب أفضل - أو سجدة الشكر التي تكون بعد كل فريضة أو نافلة: "...يستحبّ سجدة الشكر بعد كلّ فريضة أو نافلة، وفي الخبر الصحيح عن الصادق (عليه السلام) أنه قال: (سجدة الشكر واجبة على كلّ مسلم تُتمّ بها صلاتك وترضي بها ربك وتعجبُ الملائكةُ منك). والأفضل سجدتان يفصل بينهما بتعفير الخدين أو الجبينين أو الجميع مقدّماً الأيمن على الأيسر، ويجزي أن يقول فيها: (شكراً لله) ثلاث مرّات" (٩).

وأما المخالفون لم يلتزموا بالتعفير في الصلاة أو سجدة الشكر بعدها^(١٠).

الخامسة: وهي زيارة الأربعين التي أرشد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) شيعتهم ومواليهم إلى الحضور في مشهد الغريب المظلوم سيّد الشهداء (عليه السلام) لإقامة العزاء وتجديد العهد بذكر ما جرى عليه من القساوة التي لم يرتكبها أيّ أحدٍ يحمل شيئاً من الإنسانية فضلاً عن الدين، والحضور عند قبر الامام الحسين (عليه السلام) يوم الأربعين من مقتله من أظهر علامات الإيمان.

والعجبُ كلّ العجب ممن يحاول صرف هذه العبارة الشريفة (وزيارة الأربعين) عن معناها - وهو زيارة الامام الحسين (عليه السلام) يوم الأربعين وهو العشرين من صفر - إلى زيارة أربعين مؤمناً مع عدم وجود إشارة تشير إليه، ولا قرينة تساعد عليه ليصحّ الإتيان بالآلف واللام للعهد وذلك في كلمة (الأربعين) مع أنّ زيارة أربعين مؤمناً ممّا حثّ عليها الإسلام فهي من علاماته عند الشيعة وغيرهم وليست هي من مختصات الشيعة ليمتازوا بها عن غيرهم، وأمّا زيارة الامام الحسين (عليه السلام) يوم الأربعين

من قتله فهي من مختصات المؤمنين الموالين لأهل البيت (عليهم السلام)، وتما يدعو إليها الإيمان الخالص، ويؤكد لها الشوق الحسيني، ومعلوم عند الجميع أن الذين يحضرون في كربلاء لزيارة الأربعين هم خصوص شيعة الإمام الحسين (عليه السلام) السائرين على أثره.

ولم يفهم العلماء الأعلام من السلف الصالح من هذا الحديث المبارك (وزيارة الأربعين) غير زيارة الامام الحسين (عليه السلام) بعد مضي أربعين يوماً على مقتله منهم: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في (التهذيب)، والعلامة الحلي في (المنتهى)، وابن طاووس في (الإقبال)، والعلامة المجلسي في (البحار)، والشيخ يوسف البحراني في (الحدائق)، والشيخ عباس القمي في (المفاتيح).

وقد نصّ الشيخ المفيد (رحمة الله عليه) على استحباب زيارة الامام الحسين (عليه السلام) في العشرين من صفر في كتابه (مسار الشيعة)، والعلامة الحلي (رحمة الله عليه) في (التذكرة)، وملا محسن الفيض الكاشاني (رحمة الله عليه) في (تقويم المحسنين) وغيرهم.

الهوامش:

١. سورة المؤمنون/ الآيات: ١- ٩.
٢. مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)/ المقرّم/ ص ٤٧٣.
٣. المصدر نفسه/ ص ٤٧٧.
٤. مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)/ المقرّم/ ص ٤٧٧.
٥. عدّة الدّاعي/ ص ١١٨.
٦. المصدر نفسه/ ص ١١٨.
٧. المصدر نفسه/ ص ١١٨.
٨. العفرّ والعفرّ مصدران: ظاهر التراب، المنجد.
٩. الأحكام الفقهية/ ص ١١٦.
١٠. مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، المقرّم/ ص ٤٨٠.





من فوائد زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام

أحمد عبود الكريطي / صحفي

إنَّ ظاهرة زيارة العظماء والاهتمام بها من الظواهر المتكررة في تاريخ المجتمع البشري. والمتتبع لها يجد أنها لا تختص بالمسلمين، بل هي موضع اهتمام المجتمعات على اختلاف معتقداتها. إنَّ الميل الذي يدفع بالإنسان نحو احترام العظماء والاهتمام بزيارة قبورهم إنَّما هو ناجم عن وفرة ما تمنحه هذه الظاهرة من معطيات إيجابية على الصعيد الإنساني، لذا كانت موضع عناية لدى الشعوب.

والشارع المقدس قد لفت نظر المسلمين الى أهمية زيارة القبور فندب إليها في أكثر من موضع، وذلك لتحقيق جملة من الأغراض التربوية التي تعود بالفائدة الى الفرد والمجتمع الإنساني معاً، كالعبرة والاتعاظ حيث يُدرك الزائر للقبور بأن مصيره مهما طال فهو إلى الفناء، وهذا الشعور بنفسه يكون رادعاً عن تماديهِ في الرذيلة، ومن فوائد زيارة القبور أيضاً التذكير بالآخرة والزهد في الدنيا إذ تساهم زيارة القبور في تعميق الاعتقاد باليوم الآخر الذي هو أصل من أصول الدين، فإذا آمن الإنسان بأن وراءه يوماً يُسأل فيه عما فعل وأنه لم يخلق عبثاً، فهذا الشعور العميق باليوم الآخر يجعل الإنسان ذا قصد في فعله فيتجنب فعل الشر والإفساد ويتجه نحو فعل الخير الذي هدفه الإصلاح، كما يساهم هذا المفهوم في تنمية مشاعر الخير وحب الفضيلة.

هذه بعض الفوائد التي تؤدّيها زيارة القبور، وأما الفوائد التي يمكن أن تجني من زيارة أربعين الإمام الحسين (عليه السلام) هي:

يمكننا أن نصنّف ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: تخليد الذكرى ودوام الحزن

إنّ طبائع البشر مستمرة على ذكر الميت أربعين يوماً من وفاته ومواظبة ذكر صفاته ومزاياه في مراسم تعقد احتفاءً لذكراه، لاستحضار خصائصه الإنسانية وهذه السنّة الحسنة يزداد إلحاح إقامتها مع رجالات الإصلاح الذي يتبنون سبيل التفاني والإيثار في صراعهم مع الشر، لأجل الاقتداء بهم، ونشر الخير والصالح في المجتمع.

وهذا العمل جاء منسجماً مع رسالة الإسلام الخالدة التي ما دأبت تذكر بسير الصالحين وتحت على اتباعهم.

وعلى كلّ حال؛ فلا يجد الباحث رجلاً أحاطته المآثر بكلّ معانيها، وكانت مسيرة ثورته ورزية شهادته مشروعا إلهياً ينتج الإصلاح مثل سيّد الشّهداء الحسين عليه آلاف التحيّة والسّلام... فهو مجمع الفضائل ومنهل الصفات الكريمة فحق لمن يريد شد الرحال من

كل فج عميق، للمثول حول مرقده الأقدس في يوم الأربعين من شهادته حصولاً على تلك الغايات.

فهو الذي ترنو إليه قلوب المحيين لتجدد فصول شهادته في كل ذكرى أربعين كي تتغذى منها جموع الموالين بكل حرارة وحزن وينهل منها طلاب الحرية الإنسانية باستمرار فالناس لا تكرر مراسم أربعين موتاهم كل سنة كما تكرر لها لأجل أبي الأحرار الحسين (عليه السلام)، من جهة كون مزايا أولئك الرجال محدودة، بخلاف سيّد الشهداء (عليه السلام) فإنّ مآثره لا تُحَدُّ، وفواضله لا تُعَدُّ، ونهج ثورته جديدٌ كلّما ذُكر، إقامة المآتم عند قبره في الأربعين هو عيش لنهضته المباركة وثورته الأزلية وتصوير حي لظلم الأمويين ومن تبع منهجهم، ومهما أراد المفكرون أن يستوفوا حق الحسين قصر عن ذلك وعجز فهي معين يأبى الزوال، ولهذا عكفت الشيعة على تجديد العهد يومَ الأربعين من كلّ سنة، ولعلّ رواية مولانا أبي جعفر (عليه السلام): "إن السماء بكت على الحسين بن علي ويحيى بن زكريا ولم تبك على احد غيرهما، قلت: وما بكاؤهما، قال: مكثوا أربعين يوماً تطلع الشمس بحمرة وتغرب بحمرة" (١)؛ يهديننا الى فضل هذه الزيارة الكريمة، وحديث الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): "علامات المؤمن خمس.. يهديننا إلى تلك العادة الشائعة المألوفة للناس، فإنّ تأبين سيّد الشهداء (عليه السلام)، وعقد المراسم لذكره في هذا اليوم هذا توفيق إلهي يتبناه الذين آمنوا بالولاء والمشايعة لذبيح كربلاء الحسين (عليه السلام) بالمثول في يوم الأربعين من شهادته أمام مرقده المقدّس ليجددوا معاني الوفاء لحسين الأحرار وآله الأطهار (عليهم السلام) وليعيدوا صور المأساة التي أصابت الحسين وآله في يوم الطفوف.

المستوى الثاني: تجديد العهد بالولاء للإمام الحسين (عليه السلام) ولآبائه وأبنائه الطاهرين (عليهم السلام)..

وهذا ما أفادته النصوص الصحيحة الصادرة عن أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السّلام)، فقد جاء عنهم في باب الحجّ والزيارة أنّ المراد من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ قال عبد الله بن سنان: قلت للإمام الصادق (عليه السّلام): جُعِلْتُ فداك ما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾؟ قال: أخذ الشارب وقصّ الأظافر وما أشبه ذلك، قال: قلت: جعلتُ فداك فإنّ ذريحاً المحارب حدثني عنك أنّك قلت: ليقضوا تفثهم لقاء الإمام، وليوفوا نذورهم: تلك المناسك؟ قال: صدق ذريح وصدقت: إنّ للقرآن ظاهراً وباطناً ومن يحتمل ما يحتمل يا ذريح؟^(٢) يظهر من هذا الخبر الشريف أنّ الغاية من الزيارة بالدرجة الأولى هو تجديد العهد بالولاية والاستعداد لنصرتهم صلوات الله عليهم.

المستوى الثالث: طلب الشفاعة منهم (عليهم السّلام) وطلب الثبات على ولايتهم للأخذ بثأرهم والانتقام من أعدائهم، فالوقوف على قبورهم يثير مشاعر الحرقه والألم لما عانوه ويكسبنا نفحة الاصلاح والايان مدفوعاً بطلب ثأرهم من هنا أكّد دعاء العهد وزيارة عاشوراء هذا المعنى بقوله (عليه السّلام): "اللهمّ إنّ حال بيني وبينه الموت الذي جعلته على عبادك حتماً مقضياً فأخرجني من قبري مؤتزراً كفني شاهراً سيفي مجرداً قناتي -أي كاشفاً رحمي- ملبياً دعوة الداعي في الحاضر والبادي". "بأي أنت وأمي فقد عظّم مصابي بك، فأسأل الله الذي أكرم مقامك وأكرمني بك أن يرزقني طلب ثارك مع إمام منصور من أهل بيت محمّد..."

هذا جوهر ما تصبو إليه زيارة الإمام الحسين (عليه السّلام)، وأساس ما يراد تحقيقه من أهداف وفوائد وإن كان هناك فوائد أخرى كثيرة لله تصل كما أحصاها البعض إلى (٣٦٠) فائدة كزيادة العمر فقد ورد عن محمّد بن مسلم عن مولانا الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال: "مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين (عليه السلام) فإنّ إتيانه يزيد في الرزق ويمد في العمر ويدفع مدافع السوء، وإتيانه مفترض على كل مؤمن يقرّ للحسين

بالإمامة من الله" (٣) .

وتكفير الذنوب، فقد جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "إن زائر الحسين جعل ذنوبه جسراً على باب داره ثم عبرها، كما يخلف أحدكم الجسر وراءه إذا عبر" (٤) .
وتفريج الهم وقضاء الحوائج، فقد جاء عن مولانا الإمام الصادق (عليه السلام) قال لفضيل بن يسار: "إن إلى جانبكم لقبراً ما أتاه مكروب إلاّ نفس الله كربته وقضى حاجته" (٥) .

الهوامش:

١. كامل الزيارات / ج ١ / ص ١٧٢ .
٢. التفسير الصافي / ج ٤ / ص ٣٨٨ .
٣. كامل الزيارات / ص ٢٨٤ .
٤. المصدر نفسه / ص ٢٨٦ .
٥. المصدر نفسه / ص ٣١٢ .





الجواب الرصين حول زيارة الأربعين

انتصار الحسن / باحثة اجتماعية

لقد أثرت في العقود الأخيرة الكثير من الشبهات حول الكثير من الزيارات الخاصة بمراقد المعصومين (عليهم السلام) ضمن منهج التشكيك في ثوابت المعتقدات الشيعية.. وزيارة الأربعين كان لها نصيب من هذه الشبهات.. فقد ذهب أصحاب هذا المنهج الخطير أن المقصود من كلمة (زيارة الأربعين) الواردة في رواية الإمام العسكري (عليه السلام) المشهورة إنما يُقصد بها زيارة أربعين مؤمناً وليس زيارة الحسين (عليه السلام)..

والواقع أن المقصود بـ "زيارة الأربعين" الواردة في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) هو زيارة سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام)، وليس زيارة أربعين مؤمناً، ويستدل على ذلك بالوجوه الآتية:

الوجه الأول: سيرة المتدينين الشيعة، العلماء منهم والعوام، على مواظبتهم في زيارة سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السّلام) في العشرين من صفر، وهذه السيرة متصلة بالمعصومين (عليهم السّلام) الذين حثوا على الزيارة المطلقة للإمام الحسين (عليه السّلام)، بل كانوا يولون بعض مواليتهم للدعاء تحت قبة الإمام الحسين (عليه السّلام). ولا يخفى أنّ سيرة المشرعة حجة يُستكشف منها مشروعية الفعل الدال على الوجوب أو الاستحباب... وحيث إنّ المؤمنين لا سيّما المشرّعة منهم يواظبون على زيارة الأربعين الحسينية دلّ ذلك على استحبابها ورجحان مشروعيتها.

الوجه الثاني: إجماع فقهاء الإمامية على استحباب زيارته يوم العشرين من صفر، ولم يعترض أحدٌ على الاستحباب أصلاً سوى بعض مَنْ لا تحصيل لديه في المسألة، وهذا الفرد أو ذاك لا يضرّ خروجه من الإجماع المنعقد في المسألة.

الوجه الثالث: إنّ دخول الألف واللام العهديّة على كلمة "أربعين" إشارة للتنبيه على أنّ زيارة الأربعين من سنخ الأمثلة التي نصّ عليها الحديث بأنّها من علامات الإيمان.

واللام العهديّة تدخل على المسند إليه للإشارة إلى فرد معهودٍ خارجاً بين المتخاطبين^(١)، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾^(٢) فالرّسول محلّ باللام العهديّة التي دخلت على الاسم المسند إليه، فالرّسول في الآية كان معهوداً في زمن فرعون وهو موسى النبيّ، وفرعون الزنديق عصي موسى الرّسول المعهود يومذاك.

وبعبارة أخرى لقد نصّ النحويون أن أداة التعريف على ثلاثة أقسام: أحدها: أن تكون لتعريف الجنس، وتسمى (أل) الجنسية، أو التي لبيان الماهية، وهي مثل قوله تعالى: - ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(٣).

ثانيها: أن تكون لتعريف الاستغراق، مثل قوله تعالى: - ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(٤).

ثالثها: أن تكون لتعريف العهد، وهي تنقسم على ثلاثة أقسام:

١- عهد ذكري، وهو مثل قولك: اشتريت فرساً، ثم بعت الفرس. يعني أنني قد قمت ببيع الفرس المذكور.

٢- عهد ذهني، مثل قولك: جاء الشيخ، بناءً على أن بينك وبين المستمع عهد في شيخ معين وخاص، فإنك تكتفي بالعهد الذي بينك وبينه، فلا تحتاج إلى التعريف بالشيخ الآتي أكثر من كونه الشيخ المعهود بينكما.

٣- عهد حضوري، كما لو كان زيد جالساً عند عالم، وأمره المولى بإكرام عالم، فقال له: أكرم العالم، فعندها ستكون صورة العالم الذي يجب إكرامه من قبل زيد، هو العالم الحاضر أمامه، وهذا معنى أن (أل) للعهد الحضوري.

ولا يخفى أن القرينة التي سوف يُتكأ عليها في إثبات أن المقصود من الأربعين في الرواية هي زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، تعتمد على الالتزام بأن (أل) الواردة في الرواية عهديّة، دون القسمين الآخرين، وأن العهد عهد ذهني.

فيقال عندها: إن الإمام العسكري (عليه السلام) بصدد الحديث عن أمر معهود بينه وبين شيعته، ويتمثل ذلك الأمر في زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) يوم العشرين من شهر صفر، وهي الزيارة التي يكون قد مضى فيها على شهادة المولى أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) أربعون يوماً، فيقصد زيارة الأربعين المعهودة، فيثبت المطلوب.

أي أنّ "الأربعين" اسمٌ أُسْنِدَ إليه الألف واللام العهديّة حيث إنّ زيارة الإمام يوم الأربعين من يوم شهادته أمرٌ معهودٌ بين الشيعة، لذا لم تقتضِ الصّورة ذِكْرَ قيدٍ لفظيٍّ أو قرينةٍ لفظيّةٍ تحدّد أو تقيّد اللفظ المذكور باليوم المعهود وهو العشرون من صفر، فثمة قرينة حالية أوجبت فهم العلماء الأعلام من هذه الجملة خصوص زيارة الإمام الحسين (عليه السّلام)، والقرينة الحالية هي السيرة القائمة على زيارة الإمام (عليه السّلام) في العشرين من صفر.

فالحاصل: حيث لا توجد قرينة تدلّ على أنّ الأربعين هو أربعون مؤمناً، وحيث أنّ اللام تُفيد العهدَ، وحيث أنّ السيرة العمليّة للفقهاء والأعلام والمتدينين يحيون يوم العشرين من صفر وهذه السيرة مرتبطة وملتصقة بعمل الإمام زين العابدين (عليه السّلام) وعقائل الوحي وبعض صحابة النبيّ كجابر (رضوان الله عليه)، يتضح حينئذٍ استحباب ومشروعيّة زيارة الأربعين الحسينيّة، ولا يُقصد من حديث الإمام العسكري (عليه السّلام) ما توهمه بعضهم.

وبهذا التقريب يتضح أنّ المراد بزيارة الأربعين في الحديث هو زيارة الإمام الحسين المظلوم (عليه السّلام).

الوجه الرابع: مما يؤكد أنّ المراد بها زيارة سيد الشهداء في الأربعين ما روي عن صفوان بن مهران الجمال قال: "قال لي مولاي الصادق (عليه السلام) في زيارة الأربعين تزور عند ارتفاع النهار: تقول: السلام على ولي الله وحبيبه، السلام على خليل الله ونجيّه.. الخ"^(٥) فقد استعمل نفس عبارة (زيارة الأربعين) ولم يحتج إلى توضيح ولم يُسأل عنه. الوجه الخامس: عدم وجود قرينة تبين المعنى الذي ينصرف إليه إلى أنّ الحديث يدل على زيارة أربعين مؤمناً.

الوجه السادس: وجود بعض الروايات التي تدل على هذا المعنى، عن زرارة قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): "يا زرارة إنّ السماء بكت على الحسين (عليه السلام) أربعين صباحاً بالدم، وإنّ الأرض بكت أربعين يوماً بالسواد، وإنّ الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وإنّ الجبال تقطعت وانتثرت، وإنّ البحار تفجّرت، وإنّ الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين (عليه السلام)..."^(٦)

فيتبين من ذلك أنّ حمل زيارة الأربعين على زيارة أربعين مؤمناً فهم يأباه الفهم السليم لسياق الحديث، كما أنه عارٍ عن أي قرينة، وقد وردت زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) يوم الأربعين عن صفوان الجمال عن الإمام الصادق (عليه السلام) ولم

ترد زيارات لأربعينيات باقي المعصومين (عليهم السلام) مما يؤكد اختصاص أربعين الحسين (عليه السلام) بميزة خاصة.

الهوامش:

١. جواهر البلاغة/ ص ١٣٢.
٢. سورة المزمل/ الآية: ١٥.
٣. سورة الأنبياء/ الآية: ٣٠.
٤. سورة النساء/ الآية: ٢٨.
٥. الإقبال/ ص ٥٨٩-٥٩٠.
٦. مستدرك الوسائل/ ج-١٠/ ص ٣١٣، مناقب- ابن شهر آشوب/ ص ٢١٢،
العوالم/ ص ٤٧١، تفسير الصافي/ ج ٤/ ص ٤٠٧، تفسير نور الثقلين/ ج ٤/ ص ٦٢٨.



آداب الزيارة

السيد مجتبی الحسینی / باحث اسلامي

من حقوق الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم) على مواليتهم وشيعتهم، زيارة مشاهدهم المشرفة، والتسليم عليهم. فإنها من مظاهر المودة والولاء.

فهم أحياء لقوله الله (تعالى): ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾

لذا يستحسن للزائر أن يراعي جملة آداب خاصة بالزيارة عند حضوره في مشاهد المعصومين (عليهم السلام) ينبغي التزامها، والعمل بمقتضاها والحذر من مجاوزتها وإغفالها لما قد يجزّيه ذلك عن خروج من السنن أحياناً، ومجاوزة للآداب أحياناً أخرى ومن تلك الآداب ما يلي:

أولاً: الطهارة.

لطهارة الجسم والنفس أثر كبير في الارتباط العبادي بين الإنسان وربّه، وكذلك هذا العامل يساهم في تقوية العلاقة بين العبد وأولياء الله (سبحانه).

فطهارة المعصوم (عليه السلام) من كل رجس يوجب على المرء أن يزوره وهو طاهر. فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث له عن الآية القرآنية: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٢)

قال: الغسل عند لقاء كلّ إمام^(٣).

وروي عن موسى بن عبد الله النخعي وكان من أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) أنّه كان قد طلب من الإمام الهادي (عليه السلام) أن يعلمه زيارة جامعة وكاملة لزيارة كل مشهد من المشاهد المشرفة فقال له الإمام (عليه السلام):

إذا صرت إلى الباب فقف واشهد الشهادتين وأنت على غسل...^(٤).

وروي أن الإمام الصادق قال لأحد أبرز أصحابه وهو محمد بن مسلم:

إذا أتيت مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) فاغتسل غسل الزيارة...^(٥)

ثانياً: طهارة الملبس

يستحسن أن يلبس الزائر ملابس طاهرة وأن يسلم عليهم وقد تزيّن بالزّي اللائق. يقول صفوان الجمال وهو من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) سألت الإمام (عليه السلام) عن كيفية زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: إذا أردت ذلك فاغتسل والبس ثوبيك طاهرين غسيلين أو جديدين...^(٦) وقد روي أن الإمام (عليه السلام) قال لمحمد

بن مسلم وذلك حين أرشده إلى كيفية زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام):

... والبس أنظف ثيابك.. (٧)

فطهارة الملابس تدلّ عادة على المستوى الرفيع لرعاية الأدب، وبمعنى آخر فإنّ أرفع مرتبة في مسألة لباس الزائر هو أن يختار أطهر لباس لديه وإن كان يمتلك ملابس جديدة فعليه أن يلبس تلك الملابس لأنّه في الحقيقة ينال أفضل ضيافة. إذن ينبغي عليه أن لا يقدّم آخرين أو مجالس أخرى في ملبسه على ما يلبسه عند زيارة الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

عن الحسين بن ثوير قال: كنت أنا ويونس بن ظبيان عند أبي عبد الله (عليه السلام) فقال: إذا أردت زيارة الحسين كيف أصنع وكيف أقول؟ قال: إذا أتيت أبا عبد الله (عليه السلام) فاغتسل على شاطئ الفرات والبس ثيابك الطاهرة... (٨)

ثالثاً: التطيب

إنّ التطيب في لقاء العظماء يمثل احتراماً لهم ومن هذا المنطلق يمكن اعتباره من آداب زيارة المعصومين (عليهم السلام) وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال لمحمد بن مسلم:

... وشمّ شيئاً من الطيب... (٩)

وقال لصفوان الجمال:

... ونل شيئاً من الطيب... (١٠)

رابعاً: المشي حافياً

التواضع مقابل المعصومين (عليهم السلام) علامة مهمة تعكس الحب والودّ. والمشي حافياً يعدّ شكلاً من أشكال التواضع والاحترام مقابل الآخرين. وحرّم المعصومين (عليهم السلام) حرم الله (تعالى) ومحلّ لتردد ملائكته ففي هكذا مكان مقدس ينبغي أن يزور العبد بمتتهى التواضع.

عن صفوان الجمال قال: لما وافيت مع جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) الكوفة...، قال لي: يا صفوان أنخ الراحلة فهذا قبر جدي أمير المؤمنين (عليه السلام)، فأنختها، ثم نزل فاغتسل وغير ثوبه وتحفّى، وقال لي: افعل كما أفعل. (١١)
وقد أشار الإمام (عليه السلام) في بيان كيفية زيارة سيّد الشهداء إلى المشي حافياً:
... ثم امش حافياً فإنّك في حرم من حرم الله ورسوله... (١٢)

خامساً: التشهد عند دخول المرقد

إنّ الإقرار بالتوحيد ونبوة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) يعدّ من أسس مفاهيم الدين الإسلامي ومطهراً للإنسان من الشرك. والزيارة إذا ما كانت بقلب ونفس ملوثة فإنها لا تكون مناسبة لشأنهم؛ إذن ينبغي أن يطهّر القلب من الشرك وأن تتم الزيارة مع الاعتقاد بمبدأ التوحيد والإيمان برسالة النبي (صلى الله عليه وآله)؛ ومن هذا المنطلق فكلما اجتهد في هذا التطهير فإن التوفيق سيكون أكبر وقد ورد فيما مضى أنّ الإمام الهادي (عليه السلام) قال لموسى بن عبد الله النخعي:
إذا صرت إلى الباب فقف واشهد الشهادتين (١٣)

سادساً: إذن الدخول إلى المرقد

إنّ التشرف بالدخول عند مشاهد أولياء الله تعالى يمثل توفيقاً كبيراً وهو بطبيعة الحال بحاجة إلى إذنهم (عليهم السلام). فقد ورد سلفاً أنّ الله تعالى أناط إذن الدخول إلى بيوت النبي إليه . كما أنّ بيوت المعصومين (عليهم السلام) هي من بيوت النبي (صلى الله عليه وآله) وأنّ الحكم في رعاية الأدب بالنسبة إليهم لا يختلف سواء كان ذلك في زمان حياتهم أو بعد وفاتهم.

ولذلك فكما أنّ الاستئذان لدخول بيوت المعصومين ضروري في أيّام حياتهم فإنّ ذلك مندوح أيضاً لما بعد الوفاة، وهي سنّة حسنة وردت في الكثير من الروايات التي

تحدث عن أدب الزيارة.

سابعاً: التكبير عند مشاهدة القبر

يستحسن لمن شاهد المعصوم أن يقف ويكبر. ورد عن الإمام الهادي (عليه السلام) في تنمة لكلامه السابق:

فإذا دخلت ورأيت القبر فقف وقل: الله أكبر الله أكبر ثلاثين مرة، ثم امش قليلاً وعليك السكينة والوقار، وقارب بين خطاك، ثم قف وكبر الله ثلاثين مرة، ثم ادن من القبر وكبر الله أربعين مرة تمام مائة مرة. (١٤)

ثامناً: الزيارة المأثورة

حينما يقف الإنسان أمام قبر المعصوم فيستحسن له أن يظهر حبه بكلمات حسنة، تليق بمقامه الرفيع وتشتمل على توصيفه بنحو حسن وهي من جملة آداب زيارته. وبما أن مقام ومرتبة المعصومين (عليهم السلام) لا يمكن أن تعرف إلا من قبل الله تعالى الذي خلقهم (عليهم السلام) ومن قبلهم بالذات إذن فإن أفضل الكلمات التي يمكن أن تستخدم للثناء عليهم هي الكلمات التي وردت عنهم (عليهم السلام)، ولعل ملاحظة هذه المسألة هي من دعت موسى بن عبد الله النخعي أن يطلب من الإمام الهادي (عليه السلام) أن يعلمه زيارة كاملة وبلغية يزور بها المعصومين (عليهم السلام) فقد روي أنه سأل الإمام (عليه السلام) قائلاً:

علمني يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم. (١٥)

وقد أجابه الإمام الهادي (عليه السلام) إلى ما سأله فعلمه زيارة كاملة تمتاز بمواصفات سامية ورفيعة أطلق عليها "زيارة الجامعة الكبيرة".

تاسعاً: السكون والوقار في السلوك

يقتضي مقام الأئمة المعصومين (عليهم السلام) أن يتحدث المتكلم معهم بطريقة موقرة ومحترمة وأن يتخذ المرء معهم سلوكاً في غاية الهدوء. فعظمة مقام كل فرد عظيم يجعل الإنسان مترثاً ومدققاً في لحن وطريقة كلامه وسماته وحركاته وسكناته سواء حركات يده أو قدمه أو عنقه؛ إذن ينبغي أن نسعى في أن نظهر في زيارتنا سلوكاً في غاية الوقار والاتزان. وهو الأمر الذي طلبه الإمام الهادي (عليه السلام) حيث علمه كيفية الزيارة قائلاً:

"... امش قليلاً وعليك السكينة والوقار وقارب بين خطاك..." (١٦)

إنّ تقريب خطوات القدم تدلّ على نهاية الأدب في محضر المعصوم (عليه السلام) فعظمة المعصوم تكون من الرفعة ما ينصح برعاية الأدب معه حتى قبل الدخول إلى صحن المزار. فعن صفوان الجمال قال: لما وافيت مع جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) الكوفة نريد أبا جعفر المنصور، قال لي: يا صفوان أنخ الراحلة فهذا قبر جدي أمير المؤمنين (عليه السلام)، فأنختها، ثم نزل فاغتسل وغير ثوبه وتحقّى، وقال لي: أفعل كما أفعل... ثم قال لي: قصّر خطاك وألق ذقنك إلى الأرض يكتب لك بكل خطوة مائة ألف حسنة، وتمحى عنك مائة ألف سيئة، وترفع لك مائة ألف درجة، وتقضى لك مائة ألف حاجة، ويكتب لك ثواب كل صديق وشهيد مات أو قتل، ثم مشى ومشيت معه وعلينا السكينة والوقار نسبح ونقدس ونهلل... (١٧)

فتقصير الخطوات وطأطأت الرأس والمشي بوقار عند السير إلى مزار المعصومين (عليهم السلام) تدلّ بأجمعها على ضرورة احترامهم بكل ما أوتي الإنسان من قدرة وهو أمر حسن.

عاشراً: حسن الخلق مع الزائرين

على المرء الزائر أن يتعامل بحسن خلق مع زائري الأئمة المعصومين (عليهم السلام)

باخلاق نبيلة، لأنّ لهم قيمة خاصة، بسبب سمو قصدهم أولياء الله تعالى. فحال الزائرين لكذا سفر مقدس كحال زائري بيت الله الحرام.

عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: إذا خرجنا إلى أبيك أفلسنا في حج؟ قال: بلى، قلت فيلزمنا ما يلزم الحاج؟ قال: ماذا؟ قلت: من الأشياء التي تلزم الحاج، قال: يلزمك حسن الصحبة لمن صحبتك، ويلزمك قلة الكلام إلّا بخير... (١٨)

الهوامش:

١. سورة آل عمران/ الآيات: ١٦٩ - ١٧١ .
٢. سورة الأعراف/ الآيات: ٣١ .
٣. وسائل الشيعة/ ج ١٤ / ص ٣٩٠ .
٤. المصدر نفسه/ ج ١٤ / ص ٣٩٠ .
٥. المصدر نفسه/ ص ٣٩٢ .
٦. المصدر نفسه/ ص ٣٩١ .
٧. المصدر نفسه/ ص ٣٩٢ .
٨. المصدر نفسه/ ص ٤٩٠ .
٩. المصدر نفسه/ ص ٣٩٢ .
١٠. المصدر نفسه/ ص ٣٩١ .
١١. المصدر نفسه/ ص ٣٩٢ .
١٢. المصدر نفسه/ ص ٤٩٠ .
١٣. المصدر نفسه/ ص ٣٩١ .
١٤. المصدر نفسه/ ص ٣٩١ .
١٥. المصدر نفسه/ ص ٣٩١ .
١٦. المصدر نفسه/ ص ٣٩١ .
١٧. المصدر نفسه/ : ص ٣٩٢ .
١٨. المصدر نفسه/ ص ٥٢٧ .



ثأر الله وابن ثأره

الشيخ عبد الحسين البحراني / باحث اجتماعي

إِنَّ النَّاظِرَ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَرَى أَنَّ اللَّهَ (تَعَالَى) قَدْ ذَكَرَ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا (نَدًا) فَقَالَ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾^(١) وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾^(٢) وَالنَّدُ هُوَ مَنْ يَشَارِكُ اللَّهَ (تَعَالَى) فِي مَظْهَرِ أَفْعَالِهِ دُونَ حَقِيقَتِهِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ الظَّاهِرِ وَالْجَوْهَرِ، وَيَقُولُ الْبَعْضُ: بَأَنَّ النَّدَ هُوَ الْمِثَالُ لِلَّهِ وَصَفًا دُونَ الْحَقِيقَةِ.

وصفة الند هي غاية البعض لأجل تقمص رداء الجلالة والألوهية، ولا شك أنّ الله سبحانه وتعالى له الربوبية المطلقة وله خصوصية التفرد بنظام الكون الذي خلقه وهو الماسك بزمام الوجود، فهذه القدرات العظيمة التي اتصف بها الله (سبحانه) قد جعلت بعض المخلوقين له الرغبة بأن تكون له ويدعى بها ولو كان المخلوق ذا قدرات محدودة. وفكرة جعل الند لله (سبحانه) فكرة خطيرة جرّت الويلات على الشعوب؛ إذ المجتمعات التي يقودها المنحرفون ستبدأ بعمل كل ما يريد هذا الند، ومنشأ الطاعة له منبعث من وهج الحب الذي يقع فيما بينهما لوحدة القضية ووحدة الهدف، لهذا نرى الله (سبحانه) يفرق بين حب هؤلاء وبين حب المؤمنين لله سبحانه بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (٣).

وصفة الند هي صفة استعلائية نفسية تدفع بالمخلوق إلى أن يكون في محل ادعاء الربوبية وقد ادعاها فرعون سابقاً بقوله: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (٤).

فمن جعل نفسه نداً لله (تعالى) جعل نفسه في الجهة المقابلة المضادة لله (تبارك وتعالى)، وهي الجهة التي أعلنت حربها على الله وعلى رسوله وقد بين الله مصيرها بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٥).

لهذا فإنّ هناك مخططاً قديماً وكبيراً لمحاربة الله سبحانه وتعالى وقد اتصل الى يومنا هذا كحلقات السلسلة بعضها ببعض، وقد أخذ على عاتقه هذا العمل أكابر مجرميها.

ومنشأ هذا المخطط هو أنّ الله (سبحانه) قد أعىى الظالمين وأرقّ الجبابرة والمتكبرين ونغص عليهم طريق الملمات وحطّم فيهم ذروة الشهوات وأسكنهم دار الأموات.

ولهذا فإنّهم قد نصبوا لله (سبحانه) العداء منذ غابر الزمان، فشعور السلاطين والملوك

والمتكبرين في حكمهم متشابه تماماً فلا فرق فيمن جاء أول الزمان أو آخره، فأخذوا يخططون ملياً للقضاء على من تعرّض لحياتهم ونعّص عيشهم وأرغم أنوفهم، فهي إذن معركة بين اثنين الأول هو الذي لم يخسر في ساحة حرب قط، والثاني قد وضع خطط الحرب لكي يرد الخسارة ويعلن الفوز الذي لا نظير له في ميدان الملوك.

فالطرف المقابل لله (سبحانه) جل تفكيرهم هدفه تحطيم القواعد الإلهية وتعطيل الأمر وتسفيه الرسل وقلب مقتضى الحكمة بين عباده والتعامل بالبغض والكرهية، ففكروا بما يقهر قوة هذا القاهر العظيم للخلاص منه، ورفع المخوف عنهم ولكننا لا نشعر شعور من ازدحمت في نفسه تلك المنكرات.

فأخذوا جيلاً بعد جيل وأمة بعد أمة يستخلصون طرقاً للقضاء على طريق الله الأوحد، فما وجدوا طريقة في ظنهم الخاطيء أكثر تأثيراً وأقوى فاعلية الا تحريك الذات العظيمة - من مكانه ونزوله ميدان الحرب ليقاتلوه، والتي يعبر عنها بطريقة (الاستنهاض).

ولا تستغرب لهذه الخطة فالقوم قالوا: أن الله (تعالى) عين، ويد، ورجل وله شعر كالقطط، وينزل على حمار كذا وكذا، ففكرة التجسيم مذهب قائم فلا تعجب. وتخطيطهم لعملية الاستنهاض هذه لا تتم إلا بمؤثر قد أخذ موضعاً بليغاً عند الله وذات شأنية وخصوصية لديه.

فأخذوا يعملون عملاً مباشراً مع تلك الشخصيات التي تحتل مكاناً متميزاً عند الله (سبحانه) ليكون ناتج عملهم خروج الله (سبحانه) من طور الاستتار الى طور البيان والانكشاف كما يظنون.

بعد هذه المقدمة تأمل ودقق في هذا الشاهد: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (٦).

ويُعرف المكر بأنه الخديعة والاحتيال أو الالتفاف بخفية حول الهدف، الآية الكريمة تقول: بأن مكرهم (لتزول منه الجبال) فان كان المقصود من المكر بأنه الخديعة واخواتها

المذكورات لأسقاط دين الاسلام او لإفساد عمل الأنبياء والمرسلين، فالمكر في هذه الحالة طريقة يمكن علاجها بعقول الأنبياء (عليهم السلام)، وكل طريقة للمكر مهما كبر شأنها فإنها لا تصمد أمام حكمة الأنبياء (صلوات الله عليهم).

فمكرهم أبعد من ذلك بكثير ولا قياس له، بل أرادوا بالمكر مكرًا بالله نفسه، وهو الذي تزول منه الجبال، وكيف للجبال بقاء أو لغيرها وجود إن كان القوم غايتهم المكر بالله سبحانه فكل شيء سيزول إن تحقق هذا المكر.

فتفكير هؤلاء كان بتوجه وبخطة متواصلة لاستنهاض الحق سبحانه، اضرب لك مثالا، متى تثير حفيظة الحكيم؟ متى تفقده صوابه؟ الجواب حينما تغضبه بعمل جارح فتجعل مقدراته الخاصة العوبة بيدك وايدي الآخرين، وتتعدى على قدسيته لتبيح ما احتفظ به لتجعل عالي قدره أدناه وغالي ثمنه أوكسه بخسًا.

فالقوم كان عملهم يهدف إلى التعدي على ذات الله، بقتل من احتل رضا الله، واقصد بالرضا محل الحب عند الله (تبارك وتعالى).

ولهذا ففي نظرهم أنّ الرسول الذي يرسله الله إنّ أعلن رسالته وقع في فخّهم فيستارعون شوقاً لاصطياده ويتلذذون بقتله، وهذا القرآن الكريم يحدثنا عن ظلم الأمم لأنبيائهم لتلمس فعلهم الذي حاولوا فيه جاهدين لاستنهاض الله.

الآن لنقف قليلاً وننظر قول الله سبحانه معبراً عن قول فرعون (لعنة الله عليه) قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (٧).

فسبب قول فرعون ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ هو عملية استنهاض لله، وموسى هو المؤثر الذي ينتقم لأجله الله، وهو صاحب تلك الخصوصية، ففعل القتل هو دعوة لحضور رب موسى (عليه السلام).

ثم استمرت هذه الدعوات من فرعون كثيراً وملياً فأوصى وزيره بإقامة الصرح

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ (٨).

وهي دعوة الى الله اذا لم ينزل فنحن له صاعدون، لتعلم أنه سيكون قتال رب لرب .
والذي يجعل فرعون يسوق تلك العبارات؛ لأنه رأى رسل الله يستهزأ بهم ويرسالاتهم
ويضربونهم ويشتمونهم ويقتلونهم، فما كانت لفرعون رغبة في قتل موسى بل لقتال الله
سبحانه، ولكن الوسط المتعلق والمؤثر لله هو موسى ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ
وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (٩)

والأنداد يعلمون بقصور علمهم أن الله من المفترض أن لا يتخلى عن هذا الرسول
الذي احبه وأظهر على يده المعاجز، فاذا قتلوه يقوم الله ثائراً لقتله. إذن فخطة المكر
والخدعة وتبيت القتل أعمال ثابتة مسبقاً.

لنذهب الآن الى عبارة الزيارة الشريفة (السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره)
نرى السلام قد خصصه الله (سبحانه) مع من قتل الحسين ومع من قتل أمير المؤمنين
(صلوات الله وسلامه عليهما)، فلماذا تركز الثأر في هذين العظيمين، فإن كانت هناك
دلالة على منح الله لهذا السلام فإنها هي بسبب خطر الغاية التي لأجلها حصل القتل.
ستقول بقي لدي استفهام محدد وهو إذا كان التخطيط لقتل الله فما أهمية الحسين وأمير
المؤمنين صلوات الله عليهما في هذا الموضوع.

أقول انظر في بداية الزيارة وعبارة (خيرة الله وابن خيرته).
فهما سلام الله عليهما جزء من العلة المؤثرة في الوجود الكوني، وقد كان يظن أعداء الله
أن قتل هذه العلة تسقط وتبطل حكمة إيجاد الكون.

عندما ختمت الرسالات وأكمل الدين علموا هؤلاء أن أمر الوجود الكوني أصبح
محصوراً في قضية الإمامة، وآية التبليغ تفيد حصراً إكمال الدين وتمام النعمة بل لا قيمة
للرسالة ولا الشريعة إن لم يتم تبليغ ولاية آل محمد (صلوات الله عليهم) فقال عز

من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١٠) أي أن بلغة ما يريد الله (سبحانه) وما خصّ به ولأجله في عالم الإمكان هو ذا الأمر بعينه، وهذه خاتمة الأمر الإلهي، وهو البداية التي تكلم الله بها أمام الملائكة حينما قال عز من قائل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١١) فأصبح تمام الرسالة متحققاً في أمر الإمامة.

فإذا أردت أن تعرف ما سبب وجود يهود خيبر وبنو النضير والقينقاع بين مكة ويثرب، أو ما يحيط بمكة إن هو إلا تحضير لحرب استباقية للخلاص من منغص العيش بنظرهم. وهذا يومنا الذي نحن فيه نرى حرباً استباقية بدأت تأخذ مواقعها وتعد القوة لقتال إمامنا المفدى أرواحنا لمقدمه الفداء والخطّة قائمة ولم تنته بعد حتى يظهر صاحب الأمر (عجل الله فرجه).

إنّ الصورة متشابهة في كلا الإمامين (صلوات الله وسلامه عليهما) من حيث دفعهما عن المقام وإزالتها عن رتبتهما ولكن التجاسر بالفعل مختلف، فالحقيقة واحدة (تلاعب القوم) بأهم وأعظم مقدر من مقدرات الله سبحانه وهو دور الإمامة، والإمامة هي العين التي تدور حولها مصاديق الوجود كله، والذي عبّر عنه الله العلة التي لأجلها تم الخلق.

وأرجو أن لا تأخذ هذه الكلمة في قلبك وعقلك حيزاً ضيقاً وضعيفاً، فإن حقيقتها إن استطعنا أن نعطي لها تعبيراً مطابقاً فهي التي استمد الكون منها قوة الوجود، بل هي محور الوجود الكوني ومحور الابتلاء الإلهي وهي الحقيقة التي أفصح الله (سبحانه) بها في كتابه (ليلوكم) وما قرأت كتاباً من كتب المسلمين إلا وأبصرت فيه هذه الحقيقة، ولكن منهم من وضع عليها حجباً كثيفاً، ومنهم من جلاها بطراوة قلبه وعقله فأصبحت

كاللجين، وما بين الأول والثاني يأتي كلام المبغض وكلام المحب لتعرفهم ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾.

لنرجع الى الماضي قليلاً وأيام شهادة رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله) ففي ساعة شهادته انصرف القوم الى سقيفة بني ساعدة، وتحت سقفيها ولحظة زمنها حاولوا قتل الإسلام، بإزاحة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن منصبه ومحاولة قتله، وأسس أساس الظلم والجور على أهل البيت الذين طهرهم الله تطهيراً. فاليد المخفية التي كانت ماسكة لدفة الحكم صاحبة المكر والخديعة أخذت تجر الإسلام شيئاً فشيئاً نحو الانحراف.

إنَّ الغاية التي جاء بها ابن ملجم (لعنه الله) هي غاية من حاول غلق ابواب الاسلام التي تمثل أبواب النجاة، وغاية من خطط لابن ملجم هي الغاية التي لأجلها من مكر مكرّاً لتزول منه الجبال، فهناك مستكبر ماهر له دور خفي، مجرم على يده تجري الأحداث، وإليك مورد الشاهد من القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلُ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ ثَجْرَ مِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُعْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢).

إنَّ أهل المكر والخديعة موجودون دائماً في كل مكان وزمان، ولكن لهم ظرف يشدد تواجدهم فيه، وتقوى شوكتهم وتظهر حركتهم في تفكيك أواصر الدين فنراهم على مرِّ صفحات التاريخ تارة يشردون الناس وتارة يشعلون نار الفتنة لتصل الى أطراف البلاد

وتارة يقتلون بيدهم، وهؤلاء الذين يعبر عنهم الله بأكابر مجرميها فيقول عز من قائل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٣)

ووجود هؤلاء غالباً ما يتوافق في ظرف وجود نذير القوم وهاديهم الى الصواب، فاذا أراد الاسلام أن يمر من هذه المرحلة وأن تكتب له السلامة والنجاة فلا بد من دفع ضريبة وهذه القضية أشبه بمرحلة مرور السفن الجارية من ممر ضيق، ولا بد من ضريبة أما مادية أو صدع بصيبيها.

ثم اشتدت محاولات القضاء على الإسلام وقتل ذكر الله سبحانه نهائياً في نفوس الناس بدرجة أكبر مع سيد الشهداء الإمام الحسين (صلوات الله وسلامه عليه)، ولكن نصرة الاسلام وبقائه اقترنت ببذل أنفسهما لنصرة دين الله والنصر كان له شكلاً آخر هنا فقد امتصوا مكر القوم وخديعتهم وجرمهم العارم وجعلوا أجسادهما مصداً لتلك الموجة فالنصر للمظلوم كان مركزاً في صهر تلك الاجساد العظيمة وغاية الظالم كانت تحمل عنواناً فريداً في التعدي على حرمة الله (تبارك وتعالى).

الهوامش:

١. سورة البقرة، الآية: ١٦٥.
٢. سورة إبراهيم، الآية: ٣٠.
٣. سورة البقرة، الآية: ١٦٥.
٤. سورة النازعات، الآية: ٢٤.
٥. سورة المائدة، الآية: ٣٣.
٦. سورة إبراهيم، الآية: ٤٦.
٧. سورة غافر، الآية: ٢٦.

٨. سورة غافر، الآيات: ٣٦-٣٧.
٩. سورة غافر، الآية: ٣٧.
١٠. سورة المائدة، الآية: ٦٧.
١١. سورة البقرة، الآية: ٣٠.
١٢. سورة سبأ، الآيات: ٣١-٣٢-٣٣.
١٣. سورة الأنعام، الآية: ١٢٣.





الجدال بالتّي هي أحسن

محمد رضا الأسدي / صحفي

روي أنّ رجلاً قال للحسين بن عليّ (عليه السلام): اجلس حتّى
نتناظر في الدين، فقال: "يا هذا أنا بصير بديني مكشوف عليّ
هداي، فإن كنت جاهلاً بدينيك فاذهب واطلبه، مالي وللمماراة؟!
وإنّ الشيطان ليوسوس للرجل ويناجيه ويقول: ناظر الناس في
الدين كي لا يظنّوا بك العجز والجهل، ثم المراء لا يخلو من أربعة
أوجه:

إمّا أن تتماهى أنت وصاحبك فيما تعلمان فقد تركتما بذلك النصيحة وطلبتما الفضيحة وأضعتما بذلك العلم.

أو تجهلانه فأظهرتما جهلاً وخاصمتما جهلاً.

أو تعلمه أنت فظلمت صاحبك بطلبك عشرته.

أو يعلمه صاحبك فتركت حرمة ولم تنزله منزلته.

وهذا كله محال، فمن أنصف وقبل الحق وترك الممارسة فقد أوثق إيمانه، وأحسن صحبة دينه، وصان عقله^(١).

قال الشيخ النراقي (رحمه الله): "المراء: طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير غرض سوى تحقيره وإهائته، وإظهار تفوقه وكياسته. والجدال: مراء يتعلق بإظهار المسائل الاعتقادية وتقريرها. والخصومة: لجاح في الكلام لاستيفاء مال أو حق مقصود، وهذه تكون تارة ابتداءً وتارة اعتراضاً، والمراء لا يكون إلا اعتراضاً على كلام سبق.

ولا بد من التنبيه إلى أنّ الجدال إن كان بالحق - أي تعلق بإثبات إحدى العقائد الحقّة - وكان الغرض منه الإرشاد والهداية، ولم يكن الخصم لدوداً عنوداً، فهو الجدال بالأحسن، وليس مذموماً، بل ممدوح معدود من الثبات في الإيثار الذي هو من نتائج قوة المعرفة وكبر النفس"^(٢).

دوافع الجدال والمراء:

ونظراً إلى وجود علاقة وثيقة بين الصفات الرذيلة في واقع الإنسان حيث ترتبط غالباً فيما بينها بعلاقة العلة والمعلول، يتّضح من ذلك أنّ هذه الصفات الذميمة تنشأ من صفات ذميمة أخرى هي :

١. الظهور بمظهر العالم المتفوّق وإظهار الفضل على الآخرين، وهذه الحالة متداولة كثيراً في أجوائنا الاجتماعية وخاصّة في المجلس الذي يحضره جماعة من العوام ويريد هذا الشخص أن يظهر نفسه وفضيلته أمامهم أو يريد أن يفتح له مكاناً بين أرباب العلم

والمعرفة، وهذا السبب ذكره الإمام الحسين (عليه السلام) " وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوسِسُ لِلرَّجُلِ وَيُنَاجِيهِ وَيَقُولُ نَظِرِ النَّاسَ فِي الدِّينِ كَيْ لَا يَظُنُّوا بِكَ الْعَجْزَ وَالْجَهْلَ " .

٢. الكبر والغرور في النفس والتي لا تسمح للإنسان أن يذعن أمام الحق، بل تدفعه لغرض حفظ التفوق على الطرف الآخر إلى سلوك طريق الجدال والمراء وإنكار ما يتّضح له أنّه الحق، ولذلك ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه الكرام (عليهم السلام): " إِنْ مِنْ التَّوَّاضِعِ أَنْ يَرْضَى الرَّجُلُ بِالْمَجْلِسِ دُونَ الْمَجْلِسِ وَأَنْ يُسَلِّمَ عَلَى مَنْ يَلْقَى وَأَنْ يَتْرِكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقّاً وَلَا مُحِبّاً أَنْ يُحَمَّدَ عَلَى التَّقْوَى " (٣).

٣. الجهل بمقام الذات ومقام الآخرين، لأنّه يرى نفسه أكبر وأعلم من واقعه ويرى الآخرين يعيشون الجهل وعدم العلم، ولذلك ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام): " فَلَا يُمَارِي فِي أَيِّ حَالٍ إِلَّا مَنْ كَانَ جَاهِلًا بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ " (٤).

٤. حبّ الانتقام والحسد يعتبران من العوامل المهمّة الأخرى التي تدفع بالإنسان إلى الجدال والمراء، فلغرض تسقيط شخصية الطرف المقابل والانتقام منه وإشباع حالة الحسد في نفسه أو تضعيف مكانة الطرف الآخر أمام الانظار فإنّه يستخدم أداة الجدل والبحث العلمي المقترن مع الإهانة والتحقير ليستطيع بهذه الوسيلة أن يروي ظمأه إلى الانتقام من الطرف الآخر ويصب الماء على نار الحقد والحسد المستعرة في قلبه.

٥. التعصّب واللّجاجة، لأنّ الشخص المتعصّب واللّجوج غير مستعد أن يقبل التنازل عن عقائده الفاسدة بسهولة، ولذلك يجد في نفسه تعصّباً للتوقّف عليها وحفظها والدفاع عنها بالمجادلة والبحث الكلامي ويتشبّث بكل وسيلة لإثبات صحّة كلامه وبطلان كلام الطرف الآخر.

٦. (حبّ الدنيا) الذي يعدّ عاملاً أساسياً لجميع الذنوب أو أكثرها، فالأشخاص

الذين يعيشون هذه الصفة الرذيلة يريدون كسب المقام والوجاهة الاجتماعية من خلال سلوك هذا الطريق لإثبات أعلميتهم وذكائهم ليتمكنوا بذلك من نيل أهدافهم الدنيوية وتحصيل بعض المقامات الوهميّة والعناوين الزائفة.

من أضرار المراء والجدال

المراء والجدال -سوى ما استثنى- من ذمائم الأفعال، ومبادئ أكثر الشرور والفتن، ولذا ورد بهما الذم الشديد في عديد من النصوص الشريفة كونها يؤديان إلى أضرار تهلك الإنسان منها:

١- إيذاء الناس وتحقيرهم وإهانتهم وكفى بهذه الموبقة وحدها مهلكة للإنسان فقد جاء في الحديث الشريف: "من أهان لي ولياً فقد أَرصد لمحاربتي" (٥).

٢- بغض الله ﷻ للمماري قال النبي (ﷺ): «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصيم» (٦).

٣- يؤدي إلى النفاق، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): "يَاكم والمراء والخصومة فإنهما يمرضان القلوب على الإخوان، وينبت عليهما النفاق" (٧).

٤- حرمان المماري من شفاعة الرسول الأكرم (ﷺ)، روي عن عدة من أصحاب الرسول أنهم قالوا: "خرج علينا رسول الله (ﷺ) يوماً ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله ثم قال: إنما هلك من كان قبلكم بهذا. ذروا المراء فإن المؤمن لا يماري، ذروا المراء فإن المماري قد تمت خسارته، ذروا المراء فإن المماري لا أشفع له يوم القيامة، ذروا المراء فإنني زعيم بثلاث أبيات في الجنة في رياضها وأوسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق، ذروا المراء فإن أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء» (٨).

٥- هلاك الأمة، قال النبي (ﷺ): «أشد ما أخاف على أمتي ثلاث، زلة عالم، أو جدال منافق، أو ذنب يقطع رقابهم...» (٩).

إضافة إلى هذه المهلكات فإن المماري تتأصل فيه هذه الرذيلة المذمومة، قال الشيخ

عباس القمي رحمه الله: «ولا شك أنه إذا اشتدت هذه الصفة المذمومة فإنها تصل بصاحبها إلى حد يصبح معه كالكلب المتوحش الذي يبحث دوماً عمن يتصارع معه، ويترصد الماري إن سمع من أحد كلاماً ليجادله فيه ويتابعه» (١٠).

شرائط المراء والجدال

المراء والجدال ممكن أن يكونا سبباً للهداية وزيادة العلم، وممكن أن يكونا سبباً للهلاك إذ لم يستوفيا لشروطهما والتي أهمها:

أولاً: الإرشاد والهداية، فمن ناقش أو طالب بحق ناوياً نصرة الحق وإثباته، أو هداية الضال أو تجنب الناس شره، أو تجنبه عن ابتزاز الناس حقوقهم، أو على الأقل استنقاذ الحق منه، دون قصد المغالبة وإظهار القدرة أو العلم وما شابه ذلك من المقاصد المذمومة فهو محق في نقاشه ومطالبته، بل قد يجب عليه ذلك ويأثم بتركه.

وقد وردت عدة أخبار في وجوب البراءة من أهل البدع وسبهم وتحذير الناس منهم ووجوب إظهار العلم عند ظهور البدع وتحريم كتمه ففي الحديث عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فاطهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقية. وباهتوهم كي لا يطمعوا في الفساد في الإسلام، ولا يتعلموا من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات، ويرفع لكم به من الدرجات في الآخرة» (١١). ثانياً: أن لا يكون أحد الأطراف عنوداً، وإلا تحول ذلك الجدال إلى خصومة ومن ثم إلى الاختلاف.

ثالثاً: أن يكونا ضمن المبادئ والقيم الصحيحة، وعدم الخروج عنها، فبعض الناس وللأسف ونتيجة قلة علمه يحتاج عليك بالأمر العرفية. ولا يرتبط جداله بعلم أو هدى، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (١٢).

وقال عز من قائل: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ (١٣).

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ

الَّذِينَ آمَنُوا ﴿١٤﴾.

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ لَا يَنْهَانَا عَنْ الْجِدَالِ وَلَكِنْ يَأْمُرُنَا أَنْ نَجَادِلَ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١٥)، وَقَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١٦).

وَلَقَدْ كَانَ هَذَا مَنْطِقَ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ (عَلَيْهِ السَّلَام) رَوَى أَنَّهُ "بَيْنَمَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُحَدِّثُ النَّاسَ إِذْ قَامَ إِلَيْهِ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ تَفْتِي النَّاسَ فِي النَّمْلَةِ وَالْقَمْلَةِ؟! صِفْ لِي إِلَهَكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ!.

فَأُطْرَقَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِعْظَامًا لِقَوْلِهِ، أَيْ لِهَذَا السُّؤَالِ الْعَظِيمِ فِي حَضُورِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَام) فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَام): «إِلَيَّ يَا بَنَ الزَّرْقَاءِ».

قَالَ ابْنُ الْأَزْرَقِ -وَكَانَ مَبْغُضًا لِأَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَام) -: لَسْتُ إِتَاكَ أَسْأَلُ.
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَا ابْنَ الْأَزْرَقِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَهُمْ وَرَثَةُ الْعِلْمِ، فَأَقْبَلَ نَافِعٌ نَحْوَ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام).

فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَام): «يَا نَافِعُ، إِنَّ مَنْ وَضَعَ دِينَهُ عَلَى الْقِيَاسِ لَمْ يَزَلْ الدَّهْرُ فِي التَّبَاسِ، سَائِلًا، نَاكِبًا عَنِ الْمُنْهَاجِ، طَاعِنًا بِالْأَعْوَجَاجِ، ضَالًّا عَنِ السَّبِيلِ، قَائِلًا غَيْرَ الْجَمِيلِ. يَا بَنَ الْأَزْرَقِ، أَصِفْ لِي إِلَهِي بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَأَعْرِفْهُ بِمَا عَرَّفَ بِهِ نَفْسَهُ، لَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ، قَرِيبٌ غَيْرٌ مُلْتَصِقٌ، وَبَعِيدٌ غَيْرٌ مُنْتَقِصٌ، يُوحَدُ وَلَا يَبْعَضُ، مَعْرُوفٌ بِالْآيَاتِ، مَوْصُوفٌ بِالْعَلَامَاتِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى».

فَبَكَى ابْنُ الْأَزْرَقِ وَقَالَ: يَا حُسَيْنُ مَا أَحْسَنَ كَلَامِكَ؟!

قَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَام): «بَلْغَنِي أَنْكَ تَشْهَدُ عَلَى أَبِي وَعَلَى أَخِي بِالْكَفْرِ وَعَلَيَّ؟».
قَالَ ابْنُ الْأَزْرَقِ: أَمَّا وَاللَّهِ يَا حُسَيْنُ لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ لَقَدْ كُنْتُمْ مَنَارَ الْإِسْلَامِ وَنَجُومَ الْأَحْكَامِ.

فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَام): «إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ».

قال: اسأل؟ فسأله عن هذه الآية ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ (١٧).

يا بن الأزرق من حفظ في الغلامين؟

قال ابن الأزرق: أبوهما؟

قال الحسين (عليه السلام): فأبوهما خير أم رسول الله (ﷺ)؟

قال ابن الأزرق: قد أنبأنا الله تعالى إنكم قوم خصمون (١٨).

كذلك نلاحظ ما جرى في الكوفة عندما أدخل عيال الإمام الحسين (عليهم السلام) على ابن زياد -لعنه الله- فدخلت زينب أخت الحسين (عليها السلام) في جملتهم، فمضت حتى جلست ناحية من القصر وحفّ بها إماؤها، فقال ابن زياد من هذه التي انحازت ومعها نساؤها؟ فلم تجبه زينب فأعاد القول ثانية وثالثة يسأل عنها فقال له بعض إمائها هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله (ﷺ)، فأقبل عليها ابن زياد وقال لها الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أجدوثكم، فقالت زينب (عليها السلام): (الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد (ﷺ) وطهرنا من الرجس تطهيراً، إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله)، فقال ابن زياد كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك، قالت: (كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون إليه وتختصمون عنده)، فغضب ابن زياد واستشاط، فقال له عمرو بن حريث أيها الأمير إنها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها ولا تدم على خطئها، فقال لها ابن زياد قد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك، فرقت زينب (عليها السلام) وبكت وقالت له: (لعمري لقد قتلت كهلي، وأبرت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت) فقال ابن زياد هذه سجاعة ولعمري لقد كان أبوها سجاعاً شاعراً، فقالت (ما للمرأة والسجاعة إن لي عن السجاعة لشغلاً ولكن نفت صدري بها قلت).

ولما عرض الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) على ابن زياد -لعنه الله- قال له من

أنت؟ فقال: (أنا علي بن الحسين)، فقال أليس الله قد قتل علي بن الحسين، فقال له علي بن الحسين (عليه السلام): (قد كان لي أخ يسمّى علياً قتله الناس)، فقال له ابن زياد بل الله قتله، فقال علي بن الحسين (عليه السلام): ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (١٩) فغضب ابن زياد -لعنه الله- فقال له وبك جرأة على جوابي وبك بقية للرد علي اذهبوا به واضربوا عنقه، فتعلقت به زينب عمته وقالت له: (يا ابن زياد حسبك من دمائنا واعتنقته وقالت والله لا أفارقه فإن قتلته فاقتلني معه) فنظر ابن زياد إليه ساعة ثم قال عجباً للرحم والله وإني لأظنها ودّت أني قتلتها معه، دعوه فإني أراه لما به (٢٠).

علاج المراء والجدال

أولاً: العمل بخلاف النفس فإذا دخلت في نقاش مع أحد الأشخاص في مجلس ورأيت إنه يقول الحق فاعترف بخطئك وصدّق قول المقابل.

ثانياً: التأمل في الآيات والروايات التي تدم هذا المرض والتأمل في فضائل ضده. قال رسول الله (ﷺ): «ثلاث من لقي الله تعالى بهن دخل الجنة من أي باب شاء: من حسن خلقه، وخشي الله في الغيب والمحضر، وترك المراء وإن كان محقاً» (٢١).

ثالثاً: أن يعلم صاحب هذه الخصلة المذمومة أنها توجب التباعد والمباينة، وتزيل الألفة والمحبة، وتقطع الالتئام والوحدة.

رابعاً: أن تكون النية صحيحة لا لأجل الغلبة والرياء.

علمان كبيران المرحوم ملا عبد الله التستري والمرحوم المقدس الأردبيلي (المتوفى سنة ٩٩٣هـ) جمعهما مجلس كان يحضره جمع من الناس.

تقدم الملا عبد الله التستري بسؤال المقدس الأردبيلي، فردّ عليه الأردبيلي قائلاً: سوف أجيبك فيما بعد!.

ولما انتهى المجلس أخذ بيد الملا التستري ومشى معه صوب الصحراء (أطراف القرية) فشرح له جواب سؤاله، فاقتنع به التستري بعد نقاش خفيف، ولكنه قال: لماذا

لم تجبني في المجلس بحضور الجمع؟.

قال المقدس الأردبيلي: لو كنا نناقش الموضوع هناك لكنت أنا وأنت معرّضين لهوى النفس لأنّ كل واحد منّا كان يريد الانتصار لرأيه، وكنت أخشى أن يغلب علينا العجب فيحاول كلّ منّا التفوق لذاته. فيتحكم فينا حينئذ الرياء وحبّ الظهور، ونكون بذلك أقرب إلى المعصية منّا إلى الطاعة والقربة لله عزّ وجلّ.

وأما في الصحراء حيث لا أحد معنا سوى الله تعالى فلا مجال للشيطان ولا أرضية للرياء ووسوسة النفس (٢٢).

خامساً: وأما عملياً، فليواظب من يتصف بهذه الصفات المهلكة على ضدها، أعني طيب الكلام، ويكلف نفسه عليه، حتى يصير ملكة له، وترتفع أضدادها عنه بالمرة. فما أحسن بالإنسان أن يتباحث مع الآخرين من منطلق المحبة والصدقة والتواضع وطلباً للحق والحقيقة حيث يؤدّي ذلك إلى زيادة العلم والمعرفة والاستفادة من علوم الآخرين لأجل الوصول إلى أجواء المعرفة والإطلاع على المجهول، وهذا هو الجدل بالحق.

الهوامش:

١. بحار الأنوار / ٢ / ١٣٥.
٢. ينظر جامع السعادات / ٢ / ٢١٧-٢١٨.
٣. بحار الأنوار / ج ٢ / ص ١٣١.
٤. المصدر نفسه / ج ٢ / ص ١٣٤.
٥. الكافي / ج ٢ / ص ٦٥١.
٦. مجموعة ورام / ج ١ / ص ٩٩.
٧. الكافي / ج ٢ / ص ٦٢١.

٨. بحار الأنوار/ ج ٢/ ص ١٣٨.
٩. مجموعة ورام/ ج ٢/ ص ٢٠٩.
١٠. خمسون درساً في الأخلاق / ٣٢.
١١. الكافي / ٢ / ٦٦٥.
١٢. سورة الحج، الآية: ٨.
١٣. سورة غافر، الآية: ٥.
١٤. سورة غافر، الآية: ٣٥.
١٥. سورة النحل، الآية: ١٢٥.
١٦. سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.
١٧. سورة الكهف، الآية: ٨٢.
١٨. من أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام) / ص ٨٤.
١٩. سورة الزمر، الآية: ٤٢.
٢٠. كشف الغمة/ ج ٣/ ص ٦٠.
٢١. الكافي/ ج ٢/ ص ٦٢١.
٢٢. قصص وخواطر/ ص ٧٢.





الاستعانة بأرواح الأولياء (عليهم السلام)

صباح الصافي / باحث اسلامي

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١).

بعد أن تحدثت سورة الفاتحة في الآيات السابقة لهذه الآية المباركة عن الجانب العلمي والمتمثل في الإشارة إلى حقيقتين مهمتين؛ وهما الربوبية الإلهية الشاملة، والرحمة الإلهية الواسعة والدائمة أشارت في الآيات اللاحقة إلى الجانب العملي أو ما يسمى بـ(التوحيد العملي)^(٢)، والمتمثل بعبادة الله (سبحانه) وحده لا شريك له، والاستعانة به (سبحانه).

تفسير الآية المباركة:

وقبل الدخول في موضوع مهم له علاقة بأصل الإمامة نحاول تفسير الآية المباركة بصورة إجمالية ثم التركيز على موضوع الاستعانة الوارد في هذه الآية الكريمة. روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) في حديث حول تفسير سورة الفاتحة "... (إياك نعبد) رغبة وتقرب إلى الله (تعالى) ذكره وإخلاص له بالعمل دون غيره (إياك نستعين) استزادة من توفيقه وعبادته واستدامة لما أنعم عليه ونصره..." (٣). فيفهم من هذا الحديث الشريف أن العبادة هي الإخلاص بالعمل، أمّا الاستعانة طلب التوفيق والاستزادة (٤).

فعبادة الله (سبحانه) مما لا يتم إلا بمعونة منه (سبحانه) وتوفيق منه (تعالى) (٥)، عن طريق تهئية ما يحقق العبادة الحقّة وخصوصاً وجود المعصوم (عليه السلام)؛ والذي هو حبل الله (سبحانه) الذي أمرنا بالتمسك به. والفرق بين العبادة والاستعانة في اللغة: أن العبادة هي غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الأفضال وهو الله (سبحانه) (٦).

إما الاستعانة: طلب العون، والعون: المعاونة والمظاهرة (٧). و(إياك نعبد) إشارة إلى توحيد العبادة، وكذلك بيان وظيفة الإنسان في عبادته (تعالى)، و(إياك نستعين) إشارة إلى توحيد الأفعال فنستعين به في كل أعمالنا، ولا نستعين بغيره من الأصنام والأرباب المتفرقين (٨).

فهم خاطئ:

وقد فهم البعض من هذه الآية أن حصر الاستعانة بالله (سبحانه)، ورمى كل من يتوسل أو يستعين بغير الله (تعالى) بالكفر والشرك. ومن الواضح أنّ حصر الاستعانة بالله (سبحانه) لا ينافي التوسل والاستعانة بالأسباب الطبيعية وقد قال (عز وجل): ﴿فَاتَّبِعْ سَبِيلَ﴾ (٩) في قصة ذي القرنين (عليه السلام) فالله (سبحانه) أبى أن يجري الأشياء إلا بأسبابها.

فبالإلزام على الإنسان أن يستخدم الأسباب الطبيعية في الحصول على أهدافه... ولكن مع اعتقاده بأن الله (سبحانه) هو الذي منح الأسباب سببيتها...^(١٠)
سئل الإمام الصادق (عليه السلام): عن الرجل يداويه اليهودي والنصراني؟
قال: لا بأس إنما الشفاء بيد الله ^(١١).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يشير إلى جملة من المسببات عن طريق الأسباب
قال: "سبب العفة الحياء"^(١٢)، "سبب المحبة الإحسان"^(١٣)، "سبب المزيد الشكر"^(١٤)،
"سبب صلاح النفس الورع"^(١٥).

رد شبهة:

ولأجل رد شبهة الاستعانة بغير الله (سبحانه)، وإنها أي الاستعانة بأولياء الله (عليهم السلام) من صميم التوحيد، نذكر الإجابة على شكل نقاط ليصبح الجواب أكثر وضوحاً.

أولاً: صرح البعض بأن الاستعانة بغير الله (سبحانه) موجبة للشرك، "مع أن الشرك يتحقق عندما يعتبر غير الله نداً لله، وقادراً على التصرف في الأمور الكونية خارج دائرة الإذن الإلهي... وكل مسلم يعتقد أن من عدا الله لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً... فالمسلمون الذين يستعينون بغير الله إنما يستعينون بهم باعتبار أن الله سبحانه أقدرهم عليها وأذن لهم فيها... كطلبنا من الطبيب أن يعالج المريض أو من البناء أن يبني الدار ولذلك لو سألت من يستعين بغير الله: هل تعتقد أن هؤلاء يقدرّون على ما تطلبه منهم بأنفسهم وبدون إذن الله سبحانه وبدون إعطائه تعالى القدرة لهم؟ لأجابه بالنفي القاطع"^(١٦).

ثانياً: لو قلنا أن الاستعانة بغير الله (سبحانه) شرك لكان الله (سبحانه) هو من أمرنا بهذا الشرك؛ لأن القرآن الكريم مليء بالآيات التي لها علاقة بالاستعانة ولم يطلق عليها شرك.

قال (سبحانه): ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

رَدْمًا ﴿١٧﴾.

وقال (عز وجل): ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ﴿١٨﴾ ففي هذه الآية اسند الرزق إلى غير الله (سبحانه) مع أن الرزق منه (تعالى).

وقال (تعالى): ﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ﴿١٩﴾ مع أن الغنى والفقر بيد الله (تعالى) لكن هنا اسند الغنى للنبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله).
وقال (سبحانه): ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٠﴾.
فسبب الخلق والأحياء والإبراء إلى عيسى (عليه السلام) مع أنها كلها بيد الله (سبحانه).

وقال (سبحانه): ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ ﴿٢١﴾.

ثالثاً: إن الاستعانة بالإنسان الحي في هذا العالم للدعاء إلى الله تعالى بالخير والاستغفار منه هي من الضروريات الواضحة التي لا يختلف فيها اثنان.

قال (تعالى): ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ﴾ ﴿٢٢﴾، وقال (سبحانه): ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ ﴿٢٣﴾.

وقال (تعالى): ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ ﴿٢٤﴾.

وقال (تعالى): ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٢٥﴾.

وقال (تعالى): ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِئَن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿٢٦﴾.

فإذا كنّا نستعين بالآخرين من الدعاء والذي هو رأس الإيمان كما عبر في بعض الروايات ألا يصح أن نستعين بهم في أمور أخرى أقل منها .

ومن الطرائف التي رويت عن السيد الخوئي (رحمه الله) أنه سئل: هل يجوز أن نقول يا علي أدركني أو يا علي ساعدني أو كذا؟

فقال: إذا كان إنسان في البحر يغرق، ومرّ بجانبه قارب فيه شخص ماذا يفعل؟ لا أريد أن أشرك والعياذ بالله، يا الله ساعدني. سيقال له: يا فهمم مدّ يدك لنرحل! (٢٧).

والأمر الآخر الذي حصل معه (رحمه الله): كان جالساً في مجلس وأراد أن يقوم فوضع يديه على الأرض وقال: يا علي .

وهو يقوم كان إلى جانبه أحد المشايخ فوضع يده على ركبته: سيدنا كيف تقول يا علي؟، الشيعة كلهم من دون شيء يقولون: "يا علي" هكذا إذا سمعوك سيقولونها أكثر! ذاك المسكين يظن أن الكلمة فيها مشكلة.

فقال له السيد الخوئي: لكن "يا علي" من أسماء الله تعالى... يا علي يا عظيم يا رحمن! فانبسط الشيخ. فوضع السيد الخوئي يده وقال: يا علي بن أبي طالب وقام وقف. (٢٨) فالاستعانة بالآخرين والاستغاثة بهم خصوصاً الأنبياء والأوصياء والأولياء (سلام الله عليهم) من الأمور البديية التي لا غبار عليها.

ولكن الذي وقع فيه الجدل والخلط هو قضية الاستعانة والاستغاثة بأرواح أولياء الله (سبحانه) بعد وفاتهم، ولعلّ هذه المسألة أهم مما سبق في هذا البحث؛ لأن المسلمين اليوم ليسوا في محضر نبي أو إمام كي يستعينوا به بصورة مباشرة ولهذا فهم يستعينون بأرواحهم المقدسة (٢٩).

ولكي نثبت صحة الاستعانة بالأرواح بعد الوفاة لابد من ذكر نقاط مهمة هي مقدمة لإثبات هذه الحقيقة:

أولاً: الموت بالنسبة للإنسان لا يعني الفناء.

والقرآن الكريم دلت في آيات عديدة أنّ الموت ليس هو نهاية الحياة بل هو محطة انتقال إلى حياة جديدة، وكل من يعتقد بأن الموت فناء وعدم إنما يقلد الفلسفة المادية القائمة على إنكار ما وراء المادة (٣٠).

إنّ الآيات القرآنية تدل وبوضوح كامل على بقاء الروح.
قال الله (سبحانه): ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٣١).

وقال (عز وجل): ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ * فرحين بما آتاهم الله من فضله وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٢).

والأنبياء والأوصياء والأولياء (سلام الله عليهم) كلهم قتلوا في سبيل الله (سبحانه) فهم أحياء عند ربهم ولكن المشكلة أن البعض لا يشعر بذلك.
ثانياً: حقيقة الإنسان هي روحه.

"إنّ التأمل في الآيات التي تتحدث عن الإنسان يكشف لنا بوضوح أنّ حقيقة الإنسان هي روحه اقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ يَتُوفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (٣٣).

إنّ كلمة "توفي" لا تعني الإماتة كما هو معروف، بل تعني الأخذ والقبض، ولهذا فإنّ قوله (تعالى): "يتوفاكم" معناه: يأخذكم ويقبضكم وإنّما يكون هذا التعبير صحيحاً إذا كانت الروح هي الوجود الحقيقي للإنسان فهي التي "تقبض" "وتؤخذ" (٣٤).

فالروح إذن هي واقع الإنسان ومصدر تكامله النفسي والمعنوي، ولا تتلاشى بعد الموت وإنّما تبقى في عالم آخر برزخي تنزل في جسد مثالي كما عبرت بعض الروايات.

ثالثاً: الاتصال بعالم الأرواح.

وإذا ثبت بقاء الروح فهل ممكن الاتصال بها وطلب الاستعانة؟
الجواب على ذلك: نعم وبكل تأكيد وقد تحقق ذلك في موارد عديدة أثبتتها القرآن

الكريم منها:

١- قال الله (سبحانه): ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٣٥﴾
فالنبي صالح (عليه السلام) تكلم معهم بعد موتهم.

٢- سلام القرآن الكريم على الأنبياء، فالقرآن يسلم على الأنبياء (عليهم السلام)، وليس السلام هنا سطحياً بل هو سلام حقيقي وتحية جدية فهل يصح أن نفسر هذا السلام تفسيراً قسرياً.

قال (تعالى): ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٣٦﴾.

وقال (تعالى): ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٣٧﴾.

٣- السلام على النبي (صلى الله عليه وآله) عند ختام الصلاة فجميع المسلمين على الرغم من الاختلافات المذهبية يسلمون على النبي (صلى الله عليه وآله) في ختام الصلاة ويقولون: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته".

والسؤال هنا: إذا كانت علاقتنا بالنبي (صلى الله عليه وآله) قد انقطعت بوفاة فما معنى مخاطبته والسلام عليه يومياً؟!.

٤- روي أن الإمام علياً (عليه السلام) بعد أن وضعت الحرب في معركة الجمل أوزارها مرّ على كعب بن سور وكان قاضي البصرة فقال لمن حوله: "أجلسوا كعب بن سور" فأجلسوه بين شخصين يمساكانه وهو صريع، فقال (عليه السلام): "يا كعب بن سور قد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟"، ثم قال: "أضجعوه" ثم سار قليلاً حتى مر بطلحة بن عبيد الله صريعاً، فقال: "أجلسوا طلحة" فأجلسوه، فقال (عليه السلام): "يا طلحة قد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟"، ثم قال: "أضجعوا طلحة" فقال له رجل: يا أمير المؤمنين ما كلامك لقتيلين لا يسمعان منك؟ فقال (عليه السلام): "يا رجل والله لقد سمعا كلامي، كما سمع أهل القليب كلام رسول الله" (٣٨).

أما في مذهبنا الحق فهناك العديد من النصوص والأدعية التي تطلب مباشرة من المعصوم (عليه السلام) الاستعانة والاستغاثة بهم (صلوات الله عليهم) وأذكر لك ثلاثة نماذج وحادثة تبين أصالة هذا المفهوم:

النموذج الأول:

في الدعاء المأثور المعروف بدعاء التوسُّل، نقرأ:
"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتُوجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّ الرَّحْمَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا إِمَامَ الرَّحْمَةِ، يَا سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا إِنَّا تَوَجَّهْنَا وَاسْتَشْفَعْنَا وَتَوَسَّلْنَا بِكَ إِلَى اللَّهِ، وَقَدَّمْنَاكَ بَيْنَ يَدَيِ حَاجَاتِنَا، يَا وَجِيهًا عِنْدَ اللَّهِ إِشْفَعْ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ.
يَا أَبَا الْحَسَنِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، يَا حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ يَا سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا إِنَّا تَوَجَّهْنَا وَاسْتَشْفَعْنَا وَتَوَسَّلْنَا بِكَ إِلَى اللَّهِ وَقَدَّمْنَاكَ بَيْنَ يَدَيِ حَاجَاتِنَا، يَا وَجِيهًا عِنْدَ اللَّهِ، إِشْفَعْ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ.. يَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، يَا بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا قُرَّةَ عَيْنِ الرَّسُولِ، يَا سَيِّدَتَنَا وَمَوْلَاتِنَا، إِنَّا تَوَجَّهْنَا وَاسْتَشْفَعْنَا وَتَوَسَّلْنَا بِكَ إِلَى اللَّهِ، وَقَدَّمْنَاكَ بَيْنَ يَدَيِ حَاجَاتِنَا، يَا وَجِيهَةً عِنْدَ اللَّهِ، إِشْفَعِي لَنَا عِنْدَ اللَّهِ" (٣٩)، ويمضي مع سائر أئمة أهل البيت عليهم السلام بالعبارات نفسها.

النموذج الثاني: صلاة الاستغاثة بالزهراء البتول فاطمة (سلام الله عليها).

روي الفضل بن عمر عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "إذا كانت لك حاجة إلى الله وضقت بها ذراعاً فصل ركعتين فإذا سلمت كبر الله ثلاثاً وسبح تسييح فاطمة (عليها السلام) ثم اسجد وقل مائة مرة: يا مولاتي يا فاطمة أغيثيني ثم ضع خدك الأيمن على الأرض وقل مثل ذلك ثم عد إلى السجود وقل ذلك مائة مرة وعشر مرات واذكر حاجتك فإن الله يقضيها" (٤٠).

النموذج الثالث: روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) إذا أصابته الحمى فكان يتوسل إلى الله تعالى لشفاؤه بالسيدة فاطمة الزهراء، وينادي بأعلى صوته وهو على فراش المرض: "يا فاطمة بنت محمد حتى يسمع صوته عند باب الدار" (٤١).

طريق إلى الشفاء:

أصيب بمرض القلب في أحد سني عمره الشريف، وكان الذي يباشر فحصه الطبي هو الدكتور موسى سعيد الأسدي، وقد أتى به العلامة السيد محمد كلانتر (مدير جامعة النجف الدينية) فطلب الدكتور نقله إلى المستشفى؛ لأنَّ حالته خطيرة، إلا أنه رفض الانتقال، إذ كان لديه طريق خاص للشفاء السريع!..

وهو الدعاء إلى الله تعالى والتوسل بالإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، فنوى إن ألبسه الله تعالى ثوب العافية، كتب دورة فقهية كاملة حول أحكام الشريعة الإسلامية. وإذا به يقوم في ليلته من النوم، وهو لا يشكو من شيء!.. فذهب إلى مسجد (السهلة) بعد منتصف الليل رغم إلحاح أهله بعدم الذهاب، خوفاً على صحته.

وهكذا تعجب الدكتور الأسدي بعد فحصه، عندما ظهر له اختفاء المرض، وقد شوفي منه تماماً، فقال: إنَّ هذا الأمر خارق للعادة. وهكذا شرع في الوفاء بالندر، وكتب كتابه الفقهي الاستدلالي في ثلاثين مجلداً، سمَّاه (مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام)، وهو من أعظم الموسوعات الفقهية الحديثة.

ذلك المرجع الديني آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري - المتوفى سنة ١٤١٤ هـ (تغمده الله بواسع رحمته واسكنه فسيح جنته)، إنه من فقهاء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) (٤٢).

من حق المؤمن أن يستعين بكل القوى الروحية والمادية، ولا يوجد أي غضاضة في ذلك مادامت هذه الاستعانة ليست بشيء محرم أو محذور شرعاً، وقد استعان الأنبياء بأسباب طبيعية أورثت المعجزات كاستعانة نبي الله يوسف (عليه السلام) بقميصه في تطيب عين أبيه يعقوب (عليه السلام)، فالمستعين بالأولياء مع الاعتقاد بأن الله سبحانه قد منحهم تلك القوى فذلك هو باب من أبواب التوحيد شرَّعه الله (سبحانه) لعباده راقفة ورحمة بهم.

الهوامش:

١. سورة الفاتحة، الآية: ٥.
٢. ينظر التدبر في القرآن / ١ / ٢٤٧-٢٤٨.
٣. البرهان / ١ / ١١٧.
٤. راجع البرهان / ١ / ١٢٠.
٥. ينظر الصافي / ١ / ٨٤.
٦. مفردات ألفاظ القرآن / ٥٤٢ / مادة "عبد".
٧. المصدر نفسه / ٥٩٨، مادة "عون"؛ ينظر مجمع البحرين ، ٨٣١، مادة "عون".
٨. التفكر في القرآن / ١٥.
٩. سورة الكهف، الآية: ٨٥.
١٠. التدبر في القرآن / ١ / ٢٥٩-٢٦٠.
١١. بحار الأنوار / ٥٩ / ٦٥.
١٢. غرر الحكم / ١٥٩.
١٣. المصدر نفسه / ١٥٩.
١٤. المصدر نفسه / ١٥٩.
١٥. المصدر نفسه / ١٥٩.
١٦. التدبر في القرآن / ١ / ٢٦٧.
١٧. سورة الكهف، الآية: ٩٥.
١٨. سورة النساء، الآية: ٨.
١٩. سورة التوبة، الآية: ٧٤.
٢٠. سورة آل عمران، الآية: ٤٩.
٢١. سورة التوبة، الآية: ٥٩.

٢٢. سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
٢٣. سورة مريم، الآية: ٤٧.
٢٤. سورة النساء، الآية: ٦٤.
٢٥. سورة يوسف، الآيات: ٩٧-٩٨.
٢٦. سورة الأعراف، الآية: ١٣٤.
٢٧. هل قولنا يا علي شرك؟ / ٥.
٢٨. هل قولنا يا علي شرك؟ / ٦.
٢٩. الوهاية في الميزان، ٢٧٠.
٣٠. ينظر المصدر نفسه، ٢٧١-٢٧٢.
٣١. سورة البقرة، الآية: ١٤٤.
٣٢. سورة آل عمران، الآيات: ١٧٠، ١٦٩.
٣٣. سورة السجدة، الآية: ١١.
٣٤. الوهاية في الميزان / ٢٧٥-٢٧٦.
٣٥. سورة الأعراف، الآيات: ٧٧-٧٩.
٣٦. سورة الصافات، الآية: ١٣٠.
٣٧. سورة الصافات، الآية: ١٨١.
٣٨. حق اليقين / ٢ / ٧٣.
٣٩. البلد الأمين / ٣٦٩.
٤٠. بحار الأنوار / ج ٩٩، ٢٥٤.
٤١. بحار الأنوار / ٤٦.
٤٢. قصص وخواطر / ص ١٠٠.





الشعائر الحسينية والعناوين الشرعية المنطبقة عليها

الشيخ حامد النواب / أستاذ في حوزة النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وأهل بيته
الطيبين الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين الى يوم الدين.
قبل ان ندخل في صلب الموضوع لا بد من ذكر مقدمة ضمن
تمهيدات:

التمهيد الأول: منزلة كل عمل وفعل في الشريعة من حيث
الأهمية وعدمها تكون بحسب موقف العنوان المترتب عليه، وإذا
كان هناك أمر تترتب عليه عناوين مختلفة مهمة فهذا علامة على
أنه ذو أهمية وعظمة عالية.

ومن ضمن تلك الأعمال الشعائر الحسينية التي نتكفل في هذا المختصر بيان انطباق تعدد العناوين الشرعية عليها، ويعلم منه أهمية وعظمة الشعائر الحسينية.

التمهيد الثاني: شمولية العناوين المختلفة الشرعية على فعل تدل تلك الشمولية على تجذر ذاك العمل في الدين واهتمام الشارع به، وعليه فلا يضره إلقاء الشبهات الواهية بأن يكون هذا العمل موجباً لوهن الدين وسخريته في أعين المخالفين، وليس هذا بجديد وإنما أول من استهزأ بهم هم الأنبياء (عليهم السلام) وما جاؤوا به كما يقول القرآن (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (١).

وهذا الاستهزاء لم يكن مانعاً في إرسال الرسل وتبليغ الدين الإلهي. وعليه إذا ثبت (وهو ثابت) بأن الشعائر الحسينية لها جذور في الدين والشريعة فلا ترفعه العناوين الواهية كالوهن والاستهزاء وما أشبهه ويكفي لنا دليلاً ومستمسكاً في ذلك بأن إمامنا جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) على الرغم من استهزاء الأعداء، يحمد الله ويشكره ويثني على المعزين لسيد الشهداء (عليه السلام) في دعائه: (الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا يمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدونا من يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم يهذونهم (يهدونهم) ويقبّحون ما يصنعون) (٢).

التمهيد الثالث: لا يخفى علينا أنّ الاستعمار وأذنا به منذ قديم الأيام كانوا يفكرون بجدية للقضاء على الإسلام والدين؛ لتفقد الأمة بذلك حسّها وشعورها قبال الظلم والعدوان باعتبار أن الدين هذا بمنزلة قلعة محصنة ومنيعة تقف حائلاً بينهم وبين هذه الأمة.

وبعد التحقيقات الكثيرة وصلوا إلى أن العامل الأهم والذي يقوّي جذور الدين في قلب الأمة هو ولاؤهم ومحبتهم بالنسبة إلى أهل البيت (عليهم السلام) وبالخصوص سيد الشهداء (عليه السلام) وشعائره المباركة ورأوا أنه المانع والعقبة الكأداء التي تقف أمامهم وتجعلهم غير قادرين على تحقيق ما يصبون إليه.

وإلى هذا أشارت سيدتنا زينب بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الإمام السجاد (عليه السلام) يوم عاشوراء: (وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يغفو رسمه على كرور الليالي والأيام وليجتهدن أئمة الكفر وأشيع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً)^(٣).

وبكل أسف أقول: بأن بعض من ينتحلون التشيع (قاصراً أو مقصراً) يتجهون نحو هذه الافكار المنحرفة والمسمومة ويضعون أقدامهم في طريقها.

وعليه فعلى الإنسان الشيعي والموالي الصادق أن لا يرفع يديه عن ممارسة الشعائر المقدسة، وأن لا ينخدع بهؤلاء الشواذ حتى لو كلفه الكثير الكثير.

التمهيد الرابع: إن معرفة المعصومين (عليهم السلام) التي يجب علينا تحصيلها إنما هي حقيقة مشككة ذات مراتب بحيث تتميز درجات المؤمنين باختلاف درجة معرفتهم، فبعض يعرف الإمام (عليه السلام) معرفة اجمالية فقط باسمه وبعض صفاته وبعض يعرفه (عليه السلام) معرفة تفصيلية بمقاماته وشؤونه، فعلى الإنسان أن يزيد في معرفته بقدر ما يمكن.

ومعرفة الإمام (عليه السلام) تشمل أيضاً معرفة حقوقه علينا وكل ما يرتبط به (عليه السلام)، ومن مصاديقها معرفة حقوق سيد الشهداء (عليه السلام) على الناس، ومعرفة وظيفتهم تجاهه (عليه السلام) كالشعائر الحسينية وما أشبه ذلك.

بعد هذه المقدمة نحاول أن نجيب على السؤال الآتي: ما هي العناوين الشرعية المنطبقة على الشعائر الحسينية حتى نقيمها على بصيرة أكثر ويكون أجرها عند الله (تعالى) أعظم. والجواب: إن هناك عناوين متعددة يمكن القول بانطباقها، نذكر بعضاً منها على نحو الاختصار.

العنوان الاول: التأسي بالنبي (صلى الله عليه واله) وأهل بيته (عليهم السلام):

من العناوين التي تنطبق على إحياء الشعائر الحسينية هو التأسي برسول الله (صلى الله عليه واله)، والتأسي بعلي وفاطمة (عليهما السلام)، والتأسي بالأئمة (عليهم السلام).

التأسي برسول الله (صلى الله عليه وآله)

يقول الباري (عز وجل) في هذا الخصوص: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (٤).

فهذا دستور صريح ونص واضح من قبل الله (عز وجل) على أن نجعل الرسول (صلى الله عليه واله) قدوة واسوة في كل أفعالنا وأمورنا.

وقد قال الإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام): "ولقد كان في رسول الله كافٍ لك في الأسوة" (٥).

فمن أراد أن يكون لديه إيمان مستحكم، وأن يتخلق بالأخلاق السامية والرفيعة، عليه أن يجعل رسول الله (صلى الله عليه واله) أسوة حسنة له.

وعليه، عندما نقرأ التاريخ قراءة فاحصة ونتابع الروايات الشريفة نلاحظ جلياً مدى الاهتمام والعلاقة والمحبة التي كان يكنّها رسول الله (صلى الله عليه واله) لسيد الشهداء (عليه السلام)، وعندما كان (صلى الله عليه واله) يتذكر بمقتل ولده الحسين (عليه السلام) تعتريه حالة من الغم والحزن ويجهش بالبكاء.

في رواية عن عبد الله بن محمد بن الصنعاني عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: "كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا دخل الحسين عليه السلام جذبته إليه ثم يقول لأمير المؤمنين (عليه السلام): أمسكه، ثم يقع عليه يقبله ويكي يقول (الحسين): يا ابا، لم تبكي.

فيقول (صلى الله عليه واله): يا بني اقبل موضع السيوف منك وابكي (٦).

وفي رواية أخرى عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:
إن جبرائيل (عليه السلام) أتى رسول الله والحسين يلعب بين يديه فأخبره أن أمته
ستقتله، قال: فجزع رسول الله (صلى الله عليه واله) ^(٧).

التأسي بأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه واله):
كما أن الدين جعل الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله) لنا أسوة كذلك جعل نماذج
أساسية أخرى في عالم الإنسانية والحياة قدوة واسوة لترقى باقتدائهم مدارج الأخلاق
السامية والكمالات العالية.

وهم كل من الأنبياء والأوصياء والأولياء (عليهم السلام) كما قال الله تبارك وتعالى:
(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ) ^(٨).

وفي طليعتهم الائمة الاثني عشر (عليهم السلام) من أهل بيت رسول الله (صلى الله
عليه واله)، كما أشار إليه الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): (ألا وان لكل مأموم
إماماً يقتدى به) ^(٩).

وقال الإمام السجاد (عليه السلام): (ألا وأن أبغض الناس الى الله من يقتدي بسنة
إمام ولا يقتدي بأعماله) ^(١٠).

وكذا الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) التي هي قدوة وحجة للأئمة
من ولدها (عليهم السلام) ولشيعتها ومحبيها إلى يوم القيامة.

كما قال الامام الحسن العسكري (عليه السلام): (نحن حجج الله على الخلق وفاطمة
حجة علينا).

وقال الامام الحجة (عجل الله فرجه الشريف): (وفي ابنة رسول الله لي أسوة حسنة)
^(١١).

وعليه فقد يجب علينا بأدلة خاصة وعامة، التأسي بأقوالهم وأعمالهم كما ذهب اليه جمع
من الفقهاء والمحدثين وأشار اليه العلامة المجلسي بوجوب التأسي بهم مطلقاً ولزوم

متابعتهم^(١٢).

ومن جملة أعمالهم التي كانوا يقومون بها (صلوات الله عليهم أجمعين) هي إقامة العزاء والبكاء على مصائب سيد الشهداء (عليه السلام) وإحياء الشعائر الحسينية ومن هذا المنطلق تجب علينا إقامة العزاء والمآتم وإحياء الشعائر الحسينية تأسيًا واقتداءً بهم. ونشير الى بعض مواقفهم تجاه ذلك:

موقف الامام امير المؤمنين (عليه السلام):

عن ابن عباس قال: كنت مع امير المؤمنين (عليه السلام) عند خروجه الى صفين فلما نزل نينوى وهو بشط الفرات، قال بأعلى صوته، يا ابن عباس، أتعرف هذا الموضع؟ قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين.

قال علي (عليه السلام): لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي بكائي. قال: فبكي (عليه السلام) طويلاً حتى اخضلت لحيته، وسالت الدموع على صدره وبكىنا معه وهو يقول: أوّه أوّه، مالي ولآل أبي سفيان، مالي ولآل حرب، حزب الشيطان وأولياء الكفر؟

صبراً يا أبا عبد الله فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم^(١٣).

موقف من الصديقة الطاهرة (عليها السلام):

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال: (دخلت فاطمة (عليها السلام) على رسول الله (صلى الله عليه واله) وعيناه تدمع، فسألته: مالك؟ فقال: أن جبرئيل (عليه السلام) أخبرني أن أمتي تقتل حسيناً، فجزعت وشق عليها ..)^(١٤). وفي بعض الروايات (... فإنها تشهق كل يوم شهقة على ولدها حتى يسكتها أبوها)^(١٥).

موقف من الامام المجتبي عليه السلام:

وذلك حين حضره الموت وظهر السم في جميع أعضائه وخرج كبده مقطعاً، فأتى إليه

الحسين (عليه السلام) واعتنقه وجعل يبكي .

فقال له الحسن (عليه السلام): ما يبكيك يا أبا عبد الله؟

قال: أبكي لما صنع بك .

فقال: له الحسن (عليه السلام): " لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أنهم من أمة جدنا، ويتحلون دين الاسلام ويجمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك، فعندها تمطر السماء دماً ورماداً ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار (١٦) .

موقف الامام السجاد (عليه السلام):

عن الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): " بكى علي بن الحسين على أبيه الحسين بن علي (عليه السلام) عشرين سنة أو أربعين سنة وما وضع بين يديه طعاماً إلا بكى على الحسين، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين .

قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، اني لم اذكر مصرع بني فاطمة الا خنقتني العبرة لذلك (١٧) .

موقف من الامام الصادق (عليه السلام):

روى أبو الفرج بسنده انه لما دخل السيد الحميري على الصادق (عليه السلام): أقعد حرمة خلف الستر ثم استنشه في رثاء جده الحسين (عليه السلام)، فانشده ابيات كثيرة، قال -يعني راوي الحديث-: فرأيت دموع جعفر تنحدر على خديه وارتفع الصراخ من داره حتى أمره بالإمساك فامسك (١٨) .

موقف من الامام الكاظم (عليه السلام):

عن ابراهيم بن أبي محمود قال: قال الرضا (عليه السلام): " كان أبي اذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكا وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة ايام فاذا كان

يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبتيه وحزنه وبكائه ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين (صلى الله عليه).

موقف من الامام الحجة (عجل الله تعالى فرجه):

الإمام الحجة (صلوات الله عليه) يندب جده الحسين (عليه السلام) ويقرأ في زيارته: (..فلئن أخرتني الدهور وعاقني عن نصرك المقدور، ولم اكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة مناصباً فلأندبنك صباحاً ومساءً ولا بكين عليك بدل الدموع دماً، حسرة عليك وتأسفاً على ما دهاك وتلهفاً حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتئاب) (١٩).

إلى غير ذلك من موافقتهم عليهم السلام في إحيائهم الشعائر الحسينية.

العنوان الثاني: إحياء الشعائر هو امتثال لأمر أهل البيت (عليهم السلام) وطاعة لهم:

قال الله (تبارك وتعالى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ) (٢٠).

وأيضاً قد وردت روايات متواترة على وجوب امتثال أوامرهم وطاعتهم ومن مصاديق ذلك هو إحياء الشعائر الحسينية حيث أنهم (عليهم السلام) حثوا شيعتهم على اقامة العزاء على الحسين (عليه السلام) وامروهم على البكاء والإبكاء ومختلف أنواع الشعائر الحسينية.

والفرق بين هذا العنوان والعنوان السابق في أن التأسي يلاحظ بالنسبة إلى أفعالهم، والامتثال الى أوامرهم.

الامام الباقر (عليه السلام) يأمر بإقامة العزاء:

عن مالك الجهنني قال: وبعد ان ذكر الامام الباقر (عليه السلام) فضائل لزيارة سيد الشهداء (عليه السلام) يوم عاشوراء.

قلت له: جعلت فداك فما لمن كان في بُعد البلاد واقاصيها، ولم يمكنه المسير اليه في ذلك اليوم، قال: "إذا كان ذلك برز الى الصحراء او صعد سطحاً مرتفعاً في داره وأوماً اليه بالسلام واجتهد على قاتله بالدعاء وصلى بعده ركعتين، يفعل ذلك في صدر النهار قبل الزوال ثم ليندب الحسين (عليه السلام) ويكيه ويأمر من في داره بالبكاء عليه ويقيم في داره مصيبته بإظهار الجزع عليه، ويتلاقون بالبكاء بعضهم بعضاً في البيوت وليعز بعضهم بعضاً بمصاب الحسين (عليه السلام)" (٢١).

الامام الرضا (عليه السلام) يأمر بالبكاء:

قال الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) لابن شبيب: "يا بن شبيب إن كنت باكياً لشيء فباك للحسين بن علي بن ابي طالب (عليه السلام)" (٢٢).

وقال (عليه السلام) لإبراهيم بن أبي محمود: "فعلى مثل الحسين فليبك الباكون" (٢٣).

الإمام الصادق (عليه السلام) يأمر باللطم وشق الجيب:

عن خالد بن سدير عن الامام جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) أنه قال: (.. ولقد شققن الجيوب ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن علي (عليه السلام)، وعلى مثله تلطم الخدود وتشق الجيوب) (٢٤).

وفي رواية أخرى عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: "على مثل الحسين فلتشق الجيوب ولتخمش الوجوه ولتلطم الخدود" (٢٥).

الإمام الحجة (عجل الله فرجه) يأمر بإقامة العزاء:

إن الامام (صلوات الله عليه) امر الناس بذلك في ضمن دعاء الندبة حيث يقول: (فعلى الأطائب من أهل بيت محمد وعلي (صلى الله عليهما واله)، فليبك الباكون وإياهم فليندب النادبون ومثلهم فلتذرف الدموع وليصرخ الصارخون ويضج الضاجون ويعج العاجون...) (٢٦).

العنوان الثالث: التولي والمودة لأهل البيت (عليهم السلام):

قال الله تبارك وتعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (٢٧).

اتفق علماء الخاصة والعامة على أن هذه الآية المباركة نزلت في شأن أهل البيت (عليهم السلام) وعلى الأمة بكل فئاتها وشرائعها إبراز المحبة والولاء نسبة لهذه السلالة الطاهرة.

ومن مصاديق ذلك كما ورد عنهم (عليهم السلام) هو الحزن في احزانهم والبكاء واقامة العزاء على مصائبهم.

عن الامام الصادق (عليه السلام) أنه قال : "شيعتنا منا، وقد خلقوا من فاضل طيبتنا، وعجنوا بنور ولايتنا، ورضوا بنا أئمة، ورضينا بهم شيعة، يصيبهم ما أصابنا، ويكيهم أوصابنا ويجزئهم حزننا وليسرهم سرورنا ونحن أيضا نتألم بتألمهم ونطلع على أحوالهم فهم معنا لا يفارقونا ونحن لا نفارقهم، ثم قال : أَللّهم ان شيعتنا منا فمن ذكر مصابنا وبكى لأجلنا استحي الله ان يعذبه بالنار (٢٨).

وعن الامام الباقر (عليه السلام): (... ومن كان لنا محباً فليرغب في زيارة الحسين (عليه السلام) فمن كان للحسين (عليه السلام) زوّاراً عرفناه بالحب لنا أهل البيت وكان من أهل الجنة...) (٢٩).

العنوان الرابع: اداء لحق أهل البيت (عليهم السلام) عموماً، ولحق الحسين (عليه السلام) خصوصاً:

إن الله (تبارك وتعالى) جعل في ذمة الانسان حقوقاً تجاهه وبركاته وفضله عليه فيجب على الانسان عقلاً (بدليل وجوب شكر المنعم)، وشرعاً (بالأدلة الشرعية الواردة أن يؤدي تلك الحقوق ويحرم عليه الجفاء.

ومن أهم تلك الحقوق، حقوق محمد وآل محمد (صلى الله عليه واله)؛ لأن لولاهم لما خلق الله (تعالى) الافلاك وما فيها، وكما أن لهم حق التكوين علينا فكذلك لهم علينا حق التشريع والهداية، وأنهم عليهم السلام تحملوا ما تحملوا من المصائب والمكاره تسليماً

لرضا الرب ولأجل هداية العبادة وحفظ الدين النبوي والولاية العلوية.
ولا سيما لسيد الشهداء (عليه السلام) حيث بذل مهجته في الله ليستنقذ عباده من
الضلالة والجهالة والعمى والشك والارتياب الى باب الهدى من الردى.
ولهذا يقول الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): (إن حق الحسين (عليه
السلام) فريضة من الله واجبة على كل مسلم)^(٣٠).
وعليه فيجب علينا أداء حق سيد الشهداء (عليه السلام) خصوصاً وأهل البيت
(عليه السلام) عموماً.
وعندما نرجع الى كلماتهم نلاحظ ان مما يؤدى به حقوقهم، هو إحياء شعائر سيد
الشهداء (عليه السلام).

عن الامام الصادق (عليه السلام): في موضوع البكاء على الحسين عليه السلام، قال:
(... وما من باك يبكيه إلا وقد وصل فاطمة (عليه السلام) واسعدتها عليه ...) (٣١).
وقال (عليه السلام) أيضاً: (ولو أن أحدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين بن علي (عليه
السلام) لكان تاركاً حقاً من حقوق الله وحقوق رسول الله (صلى الله عليه واله) (٣٢).

العنوان الخامس: المواساة والموافقة لسيد الشهداء (عليه السلام) وأصحابه:
عندما نفحص ونجول في الروايات الشريفة الواردة في باب الشعائر الحسينية نجد
هناك عنواناً مهماً بل من أهم العناوين التي تنطبق على المراسيم العاشورية وذلك؛ لأن
من يقوم به لا بد له من المستوى العالي من المعرفة والمحبة والتضحية والولاء بالنسبة الى
سيد الشهداء (عليه السلام) وليس هو إلا عنوان المواساة والموافقة، بمعنى ان الانسان
يمثل حالته ولو بالدرجة النازلة منزلة حالة سيد الشهداء واصحابه في مصائبهم
وآلامهم.

ويدل على المواساة وعلى انها من علامات المؤمن ما عن أمير المؤمنين (عليه السلام):
"إن الله (تبارك وتعالى) اطلع الى الارض فاختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا ويفرحون

لفرحنا ويحزنون لحزننا ويذلون أموالهم وانفسهم فينا أولئك منا والينا(٣٣).
وأيضاً ما ورد عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (شيعتنا منا وقد خلقوا من
فاضل طينتنا وعجنوا بنور ولايتنا ورضوا بنا ائمة ورضينا بهم شيعة يصيبهم ما اصابنا
ويبكيهم أوصابنا ويحزنهم حزننا ويسرهم سرورنا...)(٣٤).

وايضا في رواية أخرى عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (... يفرحون لفرحنا
ويحزنون لحزننا ويخافون لخوفنا ويأمنون اذا أمنا...)(٣٥).

كما أن الانبياء العظام (عليهم السلام) عندما كان يقع طريقهم على كربلاء حزنوا
كثيرا وتجري قطرات من دمائهم الزكية على أرض كربلاء موافقة ومواساة لدم الحسين
(عليه السلام).

فقد روي عن النبي ابراهيم (عليه السلام) انه: (ان ابراهيم (عليه السلام) مرّ في
أرض كربلاء وهو راكب فرساً فعثر به وسقط إبراهيم وشج رأسه وسال دمه، فأخذ في
الاستغفار، وقال: إلهي أي شيء حدث مني؟ فنزل إليه جبرئيل عليه السلام وقال: يا
إبراهيم ما حدث منك ذنب، ولكن يقتل هنا سبط خاتم الانبياء، وابن خاتم الاوصياء،
فسال دمك موافقة لدمه)(٣٦).

وروي أن موسى كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون، فلما جاء إلى أرض كربلاء
انخرق نعله، وانقطع شراكه، ودخل الخسك في رجله، وسال دمه، فقال: إلهي أي شيء
حدث مني؟ فأوحى إليه أن هنا يقتل الحسين عليه السلام وهنا يسفك دمه، فسال دمك
موافقة لدمه)(٣٧).

وأيضاً في رواية: (أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الارض... مر بكربلاء فاغتم وضاق
صدره من غير سبب، وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام، حتى سال
الدم من رجله، فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي هل حدث مني ذنب آخر فعاقبتني
به؟ فإني طفت جميع الأرض، وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الارض. فأوحى

الله تعالى إليه يا آدم ما حدث منك ذنب، ولكن يقتل في هذه الارض ولدك الحسين عليه السلام ظلماً، فسأل دمك موافقة لدمه،^(٣٨).

وكذا الإمام السجاد (عليه السلام) واسى أباه المظلوم (عليه السلام) عندما سمع ما جرى من المصائب والمآسي على والده (عليه السلام) وعلى رأسه الشريف...^(٣٩).
وأيضاً السيدة زينب (عليه السلام) واست أخاها الحسين (عليه السلام) عندما رات رأسه الشريف ملطخا بدمائه...

وجاء في زيارة أبي الفضل العباس (عليه السلام): (السلام على أبي الفضل العباس ابن أمير المؤمنين المواسي أخاه بنفسه الآخذ لغده من أمسه الفادي له الواقى الساعي اليه بمائه، المقطوع يده..)^(٤٠)

وفي زيارة أخرى له (عليه السلام): (أشهد لقد نصحت الله ولرسوله ولأخيك فنعم الأخ المواسي..)^(٤١).

إلى غير ذلك من الشواهد والروايات في خصوص المواساة.
وعليه : ف ضرب السلاسل، واللطم على الصدور، وما اشبه كلها من مصاديق المواساة لسيد الشهداء (عليه السلام) وأهل بيته وأنصاره (عليهم السلام).
نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من المقيمين للشعائر الحسينية وأن يوفقنا بأن نطبق كل هذه العناوين بحق محمد واله الطاهرين.

الهوامش:

١. سورة يس : ٣٠.
٢. كامل الزيارات : الباب ١٠٨ / ح ١ / ص ٥٣٩.
٣. كامل الزيارات : ص ٤٤٥.
٤. سورة الاحزاب : ٢١.
٥. نهج البلاغة ج ٢ / ٥٧.
٦. كامل الزيارات : الباب ٢٢ الرقم ٤ ، ص ١٤٦.
٧. كامل الزيارات : الباب ١٧ الرقم ١ ، ص ١٢٨.
٨. سورة الممتحنة : ٤.
٩. نهج البلاغة : ج ٣ / ٧٠.
١٠. الكافي : ج ٨ / ٢٣٤.
١١. اللمعة البيضاء : ص ١٤٤.
١٢. بحار الانوار : ج ٢٥ / ٣٥١.
١٣. بحار الانوار : ج ٤٤ / ٢٥٢.
١٤. كامل الزيارات : باب ١٦ رقم ٨ / ١٢٥.
١٥. الخصائص الحسينية : ص ١٨٦.
١٦. الأمالي : ١٠١ ، بحار الانوار : ج ٤٥ / ٢١٨.
١٧. كامل الزيارات : باب ٣٥ / ص ٢١٣ ح ١.
١٨. الأغاني : ج ٧ / ٧ ، النقد النزيه : ص ١٩٧ - ١٩٨.
١٩. المزار الكبير : ص ٤٩٠.
٢٠. سورة النساء : ٥٩.
٢١. كامل الزيارات : الباب ٧١ / ح ٩ ص ٣٢٦.

٢٢. عيون اخبار الرضا: ج ١ / ٢٩٩.
٢٣. الامالي للصدوق المجلس: ٢٧، ح ٢، بحار الأنوار: ج ٤٤ / ٢٨٤.
٢٤. وسائل الشيعة: ج ٢٢ / ٤٠٣ تهذيب الاحكام ج ٨ / ٣٢٥.
٢٥. من وهج العشق الحسيني: ١٦٢.
٢٦. إقبال الاعمال أمصباح الزائر أجمال الاسبوع: دعاء الندبة.
٢٧. سورة الشورى: ٢٣.
٢٨. الخصائص الحسينية: ص ١٦٦.
٢٩. كامل الزيارات: الباب ٧٨ ح ٤ ص ٣٥٦.
٣٠. كامل الزيارات الباب ٤٣: ح ٥.
٣١. كامل الزيارات: الباب ٢٦ / ٨٤.
٣٢. كامل الزيارات: الباب ٤٣ ح ٥ / ص ٢٣٨.
٣٣. بحار الانوار: ج ٤٤: ص ٢٨٧.
٣٤. الخصائص الحسينية: ١٦٦، المنتخب: ٢٦٨.
٣٥. كامل الزيارات الباب ٣٢ / ح ٧ / ص ٢٠٣.
٣٦. بحار الانوار: ج ٤٤ / ٢٤٣.
٣٧. بحار الانوار: ج ٤٤ / ص ٢٤٤.
٣٨. بحار الانوار ج ٤٤ / ٢٤٢.
٣٩. دار السلام: ج ٢ / ١٧٩.
٤٠. بحار الأنوار: ج ٤٥ / ٦٦.
٤١. بحار الأنوار: ج ٩٨ / ٢١٩.

